وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: ...../.....
رقم التسجيل ط1: 171735089444
رقم التسجيل ط2: 191935076315

علماء المذهب الحنفي في الجزائر العثمانية ابن العنابي أنموذجا

مذكـــرة مقدمـة ضمـن متطلبات نيـــل شهادة الماستر
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبتان:
- إيمـــان عيساوة
- حورية لعمراي

الأستاذ المشرف:
د. قويدر عاشور

لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عبد المالك بوقزولة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
د. قويدر عاشور	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. جمال عطابي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023-2024م

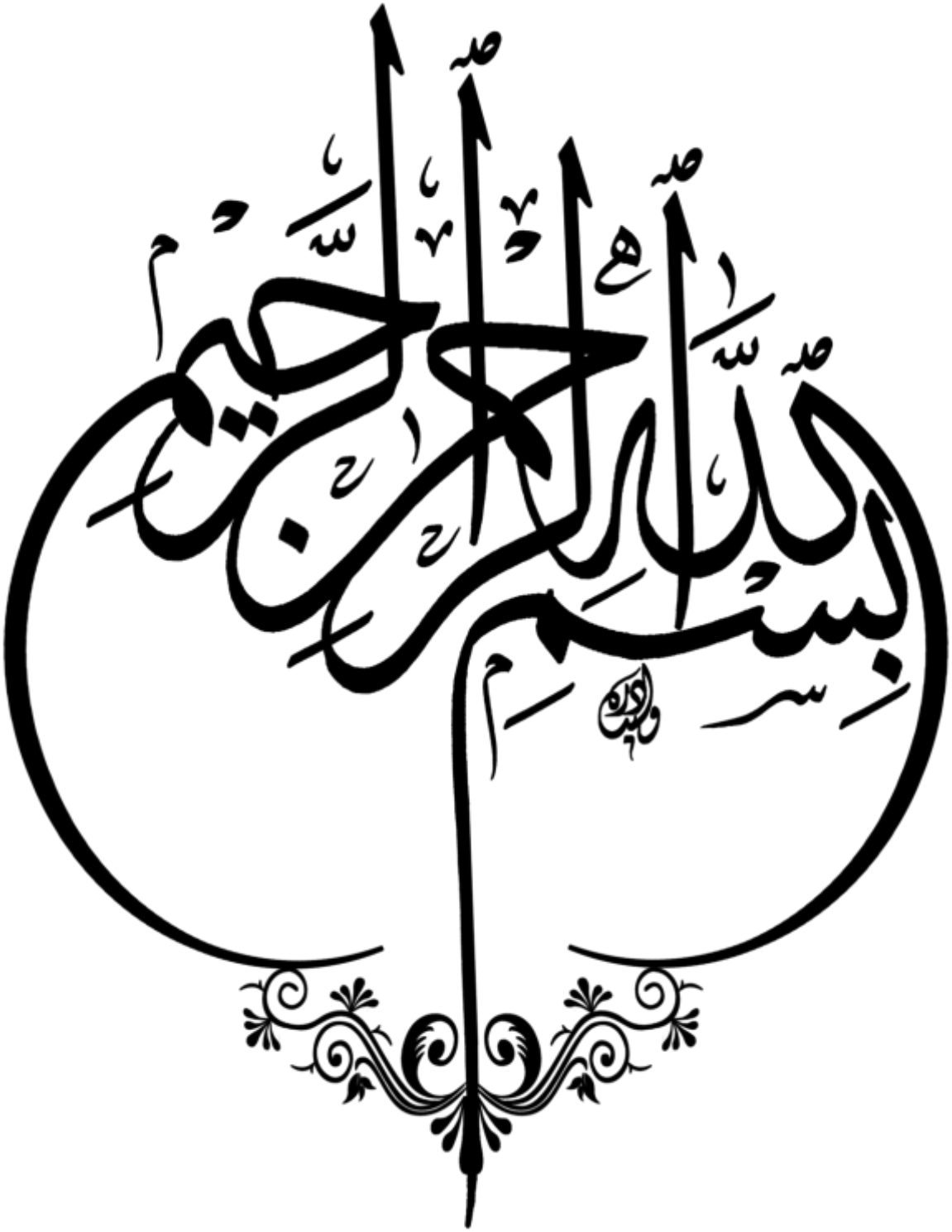
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[سورة الأحقاف، الآية: 15]

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بالعلم والإيمان واليقين وجعلنا من المسلمين، وعلى ما تفضل به وأنعم من عون ورعاية وتوفيق، وبعد فإننانتوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذنا المشرف الدكتور: "عاشور قويدر"، الذي عبد لنا طريق البحث من خلال توجيهاته وإرشاداته وملاحظاته رغم انشغاله، وقدم لنا يد العون والمساندة، وكل الجهد لإخراج هذه الدراسة بصورتها النهائية.

كما نتقدم بخالص الشكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة الكرام

كما نقدم خالص شكرنا إلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف المسيلة، وطاقمه الإداري.

وإلى طاقم مكتبة البيان

حورية

إيمان

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمي وأبي اللذان سهرا على تقديم كل ما بوسعهما في سبيل دعمي لإتمام مشواري الدراسي من أول مرة إلى آخرها جزاهم الله عني كل خير وأطال الله في عمرهم.

إلى من أرى التفاؤل بعينها والسعادة في ضحكتها أختي نعيمة حفظها الله ورعاها.

إلى إخوتي وسندي في الحياة (ياسين، أيوب، رامي)

إلى من ضاقت الصدور من ذكرهم فوسعهم قلبي (صديقاتي)

إيمان

الإهداء

قال الله تعالى ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفي أما بعد:

أهدي عملي هذا إلى اللذان خصهما الله بالطاعة وجعل بين أيديها مفاتيح الجنة

إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

"إلى أمي الحبيبة "

إلى "أبي الحبيب"

كما أهدى ثمرة هذا النجاح إلى أخي الغالي "المسعود" الذي كان لي نعم الأخ والذي سار معي مسيرة الحياة الجامعية بكل ما فيها من تعب ومن تركت الله ليجازيه خير الجزاء.

أهدي هذا النجاح إلى باقي إخوتي وأفراد عائلتي وأسأل الله أن يرزقهم من واسع فضله وعطائه

أتوجه بالشكر الخاص لورود قلبي إخوتي «نادية، وغنية، وفاطمة، وبشرى» من كن لي خير الأخوات

أتقدم بالشكر لصديقاتي كلهن بدون استثناء وأسأل الله لهن دوام التوفيق والنجاح.

وفي الختام أشكر الله أولا وآخرا وأهدي هذا العمل لكل أساتذتي من الابتدائي إلى الجامعي وكل من ساهم في نجاحي

حورية

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
ج	جزء
ط	طبعة
تر	ترجمة
دت	دون تاريخ
ص	صفحة
مج	مجلد
ع	عدد

مقدمة

- الإطار العام للموضوع:

يعتبر المذهب الحنفي من أقدم وأشهر المذاهب الفقهية في التراث الإسلامي، وقد كان له انتشار واسع في مختلف البلدان الإسلامية مشرقا ومغربا ومنهم بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) عن طريق الدولة العثمانية، وقد أسهم بدور فكري في تشكل وتبلور الفقه الإسلامي عموما، وبالتالي كان لعلماء المذهب الحنفي بالجزائر أثر بارز باعتبارهم من الركائز الأساسية، وساهموا بصفة عامة في الدفاع عن أراضيهم والتعبير عن رفضهم للوجود الفرنسي من خلال طرق وأساليب عديدة، فكان شيوخ الزوايا إضافة إلى القضاة وغيرهم يعملون جاهدين للتصدي لمختلف سياسات التسلط الاستعمار الفرنسي، ومن بين الشّخصيات الّتي كان لها صدى وبصمة تاريخية في مقاومة الاحتلال نجد العلامة الحنفي محمد ابن العنابي وما قدمه في سبيل الحفاظ على بلده. وعليه سنسلط الضوء على هذه الشّخصية الهامة.

- أهداف الدراسة:

تناولنا في هذه الدراسة شخصية ابن العنابي كونه أحد النماذج البارزة بمدينة الجزائر، فقد كان من الدعاة المصلحين الّذين ناشدوا بإصلاح الأمة والنهوض بها. وقد عاش ابن العنابي في الفترة من (1175هـ/1851م)، الّتي جمعت بين مرحلتين مختلفتين عرفتها الجزائر وهي نهاية الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. ويعتبر هذا النوع من الدراسات مما يُرغب الباحثين في كشف الستار عن شخصية هذا العالم والمفكر وإن تطرقت إليها بعض الدراسات إلى أنّها مازالت تحتاج إلى مزيد من النظر والتحليل.

- دواعي دراسة الموضوع:

تنوعت دواعي اختيارنا للموضوع بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، ومن بين الأسباب الذاتية ما يلي:

- الميول الكبير لدراسة التراجم والسير وحب الشّخصيات خاصة الّتي ظهرت نهاية الحكم العثماني.

- الرغبة والفضول دفعنا للتعرف على هذه الشّخصية ومحاولة إزالة الغموض عليها.
- معرفة ما قدمه ابن العنابي وما أفاد به.

أما الأسباب الموضوعية فتمثلت فيما يلي:

- التعريف بشخصية ابن العنابي باعتباره أحد الشّخصيات الّتي تزامن ظهورها مع بداية الاحتلال الفرنسي.
- إجراء دراسة معمقة مخصصة فهو من بين العلماء الّذين لم ينالوا حظا وافرا من الدراسة.

الدراسات السابقة:

من خلال دراستنا لهذا الموضوع وجدنا بعض الدراسات السابقة لها علاقة بالموضوع من بينها: "محمد بن العنابي ودوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي (1775/1851م)" وهي مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر.

إضافة إلى "المشروع النهضوي في فكر ابن العنابي الجزائري وخير الدين التونسي من خلال كتاب السعي المحمود في نظام الجنود وأقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" وهي أيضا مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ بالحديث.

كلتا الدراستين تناولتا الموضوع بشكل موسع لم يتطرقا للتفصيل في شخصية ابن العنابي وبالتالي ومن خلال دراستنا هذه عملنا على إثراء الجانب العلمي والثقافي لابن العنابي ثم دوره وعلاقته مع الاستعمار الفرنسي وفي نهاية الحكم العثماني.

- الإشكالية العامة وفروعها:

يتمحور موضوعنا حول إشكالية كبرى وهي:

- إلى أي مدى تجلى حضور الفقيه الحنفي ابن العنابي في الجزائر العثمانية؟

يندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1- من هو ابن العنابي؟

2- فيمتا تمثلت أفكاره وثقافته؟

3- ما هي أهم الوظائف والمهام الّتي أسندت إليه؟

4- فيما تجلت مواقفه من الاحتلال وكيف واجه ذلك؟

5- ما المصير الّذي لقيه؟

- المنهج المتبع:

اعتمدنا في دراسة موضوعنا على منهجين: أحدهما أساسي وهو المنهج التاريخي باعتباره الأنسب كون الموضوع متعلق بدراسة شخصية تاريخية برزت في فترة مهمة وهي فترة نهاية الحكم العثماني والفترة الأولى من بداية الاحتلال الفرنسي، كما استعنا بالمنهج الوصفي حيث وصفنا من خلاله الأوضاع الّتي عاشها ابن العنابي في الجزائر.

- الخطة المتبعة:

ولمعالجة موضوعنا اتبعنا الخطة التالية حيث قسمنا بحثنا إلى فصل تمهيدي وفصلين كلّ منهما يندرج تحته عدة عناصر وأنهينا العمل بخاتمة.

تطرقنا في بداية الفصل التمهيدي الّذي عنوانه "المذاهب الإسلامية التي استقرت في الجزائر العثمانية" يندرج تحته التعريف بالمذهب الحنفي ثم تحته عنوان يحمل المذاهب الإسلامية الّتي ظهرت في المغرب الأوسط، كما اندرج تحته أيضا التعريف بالإمام الحنفي أبو حنيفة وكيف كان دخول المذهب الى الجزائر، ثم ختمنا الفصل بآخر عنوان وهو علاقة الحكام بعلماء المذهب الحنفي.

بينما جاء الفصل الأول موسوما بدراسة شخصية ابن العنابي من حيث التعريف به إضافة إلى فكره وثقافته وأهم المناصب الّتي تولاها.

أمّا في الفصل الثاني فعالجنا فيه دور ابن العنابي ومقاومته للاحتلال الفرنسي، واندرج تحته ثلاثة عناوين رئيسة تضمنت موقفه من الاحتلال الفرنسي وردة فعله ومقاومته ومصيره على التوالي.

وفي الخاتمة توصلنا لمجموعة من النتائج من خلال ما تم معالجته في موضوعنا.

- **المصادر والمراجع:**

من بين جملة المصادر والمراجع الّتي اعتمدنا عليها في عملية دراستنا لموضعنا نذكر منها: كتاب المرآة لصاحبه حمدان بن عثمان خوجة، إذ يعتبر من المصادر المهمة والقيمة، ساهم بشكل كبير في إبراز دور ابن العنابي وكيف كان موقفه من الاحتلال الفرنسي.

كذلك كتاب رائد التجديد الإسلامي لصاحبه المؤلف أبو القاسم سعد الله، حيث قدم لنا إضافات جديدة عن حياة ابن العنابي ومعلومات قيمة حول تعليمه وثقافته.

- **الصعوبات:**

وكأي عمل إذ لا يوجد عمل كامل، فمن بين الصعوبات الّتي واجهتنا:

- كثرة التكرار في الأحداث والوقائع ووجود آراء متضاربة حول التواريخ ممّا صعب الوصول إلى المعلومات الصحيحة.
- طبيعة الموضوع في حد ذاته من خلال بروز ابن العنابي في فترة شملت حكمين الحكم العثماني والحكم الفرنسي.
- صعوبة ضبط الخطة وإخراجها بصورة واضحة وشاملة.
- تشابه المعلومات في جل الكتب الّتي تناولت شخصية ابن العنابي.

والله ولي التوفيق

الفصل التمهيدي

المذاهب الإسلامية في المغرب الأوسط
(الجزائر)

أولا- ماهية المذهب

ثانيا- المذهب المالكي

ثالثا- المذهب الإباضي

رابعا- المذهب الحنفي

أولا- ماهية المذهب:

1- لغة: هو أصيل يدل على حسن ونضارة، يجمع مع الأذهان والمذاهب ولكل شيء مموه بالذهب، ومثال ذهاب الشيء: مضيه، يقال ذهب يذهب ذهابا وذهوبا وقد ذهب مذهبا حسنا[1].

2- اصطلاحا: صرح الحموي التابي (رحمه الله) بأنّ المذهب في العرف هو: ما اختص به بالمجتهد من الأحكام الشرعية والفرعية والاجتهادية المستفادة من الأدلة الظنية.

وعرفه بعض العلماء بأنّه عبارة عن الأحكام الشرعية الفرعية الاجتماعية وأسبابها، وشروطها وموانعها والحجج المثبتة للأسباب والشروط والموانع[2].

ثانيا- المذهب المالكي:

1- تعريفه:

هو ثاني المذاهب الإسلامية المعتمدة في الفقه الإسلامي، من حيث الترتيب الزمني، وينسب إلى عالم المدينة، وإمام الهجرة مالك بن أنس الأصبحي (رحمه الله) وهو أصح المذاهب وأعدلها في العقيدة والأحكام[3].

وهو كلّ ما اختص به الإمام مالك بن أنس ب نملك (رحمه الله) من الأحكام الشرعية والفروعية والاجتهادية، وهو أيضا ما اختص به من أسباب الأحكام والشروط والموانع والحجاج[4].

---

(1)- أحمد فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج2، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1979، ص197.

(2)- أحمد بن محمد بن نصير الدين النقيب، المذهب الحنفي (مراحله- طبقاته- ضوابطه- مصطلحاته- خصائصه- مؤلفاته)، ج1، مكتبة الرشاد، الرياض، السعودية، د ت، ص38.

(3)- وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، المذاهب الفقهية الأربعة- أئمتها- أطوارها- أصولها- آثارها، راجعه أحمد الحجي الكردي وآخرون، ط1، 2015، ص05.

(4)- عبد الحفيظ موسم، "واقع القضاء بين المالكية والأحناف في الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة المحترف للعلوم الرياضية والعلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد 9، العدد 01، 2022، ص19.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مذهب أهل المدينة النبوية- دار السنة، ودار الهجرة، ودار النصرة، إذ فيها سن الله رسوله محمد- صلى الله عليه وسلم- سنن الإسلام وشرائه، وإليها هاجر المهاجرون إلى الله ورسوله، وبها كان الأنصار الّذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم- مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهل المدائن الإسلامية شرقا وغربا في الأصول والفروع»[1].

وهو أيضا كلّ ما ذهب إليه الإمام مالك من الأحكام الاجتهادية الّتي بذل وسعه في تحصيلها، أو كلّ ما قاله هو وأصحابه على طريقته ونسب إليه مذهب لكنه يجري على قواعده وأصوله التي بنى عليها مذهبه، وليس المراد ما ذهب إليه وحده دون غيره من أهل مذهبه[2].

وقد نشأ المذهب المالكي بالمدينة موطن الإمام مالك، ثم انتشر في الحجاز وغلب عليه وعلى البصرة ومصر وما والاها من بلاد إفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان وظهر ببغداد ظهور كثيرا، ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع، وضعف بالبصرة في القرن الخامس وغلب على خرسان وظهر بنيسابور أولا، وكان له بها وغيرها أئمة ومدرسون.

وكان ببلاد فارس، وانتشر باليمن وكثيرا من بلاد الشام[3].

2-التعريف بصاحب المذهب المالكي، مالك بن أنس

2-1- مولده ونسبه وكنيته:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن الحارث- ذو أصبح- الحميري، الأصبحي، المدني.

---

(1)- سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ بدايات النشأة، والعقيدة، التوزيع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط3، 2005، ص145.

(2)- عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص19.

(3)- أحمد تيمور باشا، المذاهب الفقهية الأربعة، الحنفي والمالكي، الشافعي والحنبلي وانتشارها عند جمهور العرب، دار الأوقاف العربيّة، مصر، ط1، 2001، ص64.

وذو أصبح الّذي ينتسب إليه من ولد قحطان، ولن (أصبح) صارت قبيلة، فنسب إليها[1].

ولد مالك بن أنس سنة 712هـ، وتوفي 795هـ، أي أنّه عاش ما يزيد عن الثمانين سنة من عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك إلى زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد أمضى منها حوالي سبعين سنة في لتدريس وهو ثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة وصاحب المذهب في الفقه الإسلامي[2].

انتقل جد أبيه، وهو عامر بن عمرو من اليمن إلى المدينة المنورة بعد غزة بدر الكبرى، وصهر بني تيم وحضر المغازي كلها مع رول الله صلى الله عليه وسلم إلا بدرا، فهو صحابي جليل، أمّا أبوه أنس وجده مالك، فمن التابعين، وما مالك، فمن التابعين، وأمّا مالك وكنيته أبوة عبد الله تابعي التابعين وعرف بإمام دار الهجرة[3].

2-2 - نشأته:

نشأ الإمام مالك في أسرة كريمة مشهورة بالعلم، وفي ظل بيت عرف بالانشغال بالحديث، واستطلاع آثار السلف، وفتاوى الصحابة فجده مالك بن أبي عامر من كبار التابعين وعلمائهم، روى عن عمر وعثمان وعائشة (رضي الله عنهم) وروى عنه بنوه، ومنهم أتس بن مالك وعمه سهيل بن مالك (ت140هـ) من شيوخ الإمام (بن شهبان) الزهري، ويبدو أنّ أباه أنس بن مالك لم يكن من المشتغلين بالحديث[4].

نشأ الإمام مالك في بيت مجد من بيوت العلم نجده من كبار التابعين ولمائهم، وشارك هذا الجد المبارك في مهمة دينية رسمية، وهي مهمه كتابة المصاحف.

---

[1]- سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات النشأة، والعقيدة التوزيع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط3، 2005، ص145.

[2]- عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص19.

[3]- سعد رستم، المرجع السابق، ص154.

[4]- وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء، المرجع السابق، ص58.

ولقد كانت البيئة العامة للبلد الّذي عاش في توعز بالعرفان، وتنمي المواهب إذ هي مدينة الرسول الأعظم- محمد صلى الله عليه وسلم- موطن الشرع ومبعث النور في ظل هذه البيئة نشأة مالك وحفظ القرآن في صدر حياته، ثم اتجه لحفظ الحديث ومجالسة العلماء[1].

2-3- مناطق انتشار المذهب المالكي في الجزائر:

يرجع تاريخ دخول المذهب المالكي في الجزائر إلى عهد الدولة الإدريسية (172هـ/788م) حيث يعد مؤسسها إدريس الأول أوّل من أدخل المذهب المالكي إليها.

كلم يكن لدخول العثمانيين إلى الجزائر تأثير البتة في انتشار المالكية بل العكس من ذلك فقد كان مجيئهم وفرضهم للمذهب الحنفي عاملا مهما في بعثها تدريسا وتصنيفا وقضاء وفتوى لمعظم مختلف مناطق شمال البلاد وشرقها ووسطها وغربها، تعتبر عنابة، وقسنطينة، والأوراس ومنطقة الحضنة وطولقة وبسكرة وضواحيها وتلمسان ومازونة، وهران، ومستغانم، بجاية، الجزائر أهم الحواضر الّتي كانت تمثل مدرسة المالكية في الجزائر[2].

ثالثا- المذهب الإباضي:

3-1- التعريف بالمذهب:

الإباضية تعني الانتساب إلى الإمام عبد الله بن إباض المري المقاعسي التميمي، قال ابن دريد، ومنهم أي عن بني مرة بن صريم بن مقاعس بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم- عبد الله بن إباض صاحب الإباضة[3].

---

(1)- سعد رستم، المرجع السابق، ص154.

(2)- صالح بوشيش، المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الملتقى الوطني الأول (المذهب المالكي في الجزائر)، 2-3 ربيع الأول الموافق لـ1 و2 أفريل 2004، ص146.

(3)- أحمد بن مسعود السيابي، المدخل إلى المذهب الإباضي، ط1، مكتبة الظاهري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، 2019، ص8.

وقد سمي الإباضية باسم أبيه إباض بن عمير، والسهولة الانتساب إليه وذلك لشهرة لفظه، وهو أمر معروف في علم الأنساب عن العرب[1]، وتعتبر الإباضية الفرقة الوحيدة الّتي بقيت إلى يومنا هذا من الخوارج[2].

وكان التأسيس الحقيقي لفرقة الإباضية على يد الإمام جابر بن زيد الأزدري الأماني (توفي سنة 93هـ) حيث كان له الأثر البالغ في نشأة الإباضية وتحديد معالم أفكارها[3].

3-2- التعريف بصاحب المذهب الإباضي الإمام جابر بن زيد:

ولد الإمام جابر بن زيد في قرية قرقة من مدينة تزوي وهي مدينة تاريخية معروفة في عمان[4]، سنة (22هـ) وتوفي سنة (96هـ) على أرجح الأقوال[5].

وبما أنّه ولد فيها (تزوى)[6]، فلابد أنّه لتعلم فيها القرآن وشيئا من علوم الدين الإسلامي كحفظ الأحاديث النبوية ودراستها وكذلك فتاوى الصحابة الكرام، وكان لولده الفضل الكبير في تعليمه لأنّ والده كان صحابيا[7].

كان يلقب بأبي الشعثاء وكان عالم أهل البصرة في زمانه بعد مع الحسن وابن سيرين، روى عطاء عن ابن عباس قال: لو أنّ أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله[8].

كان لأبي الشعثاء حلقة بجامع البصرة وكان من المجتهدين في العيادة[9].

---

(1)- أحمد بن مسعود السيابي، المرجع السابق، ص8.

(2)- سعد رستم، المرجع السابق، ص204.

(3)-المرجع نفسه، ص204.

(4)- المرجع نفسه، ص13.

(5)- علي حي معمر، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، ط2، مكتبة وهبة، 1987، ص30.

(6)- كانت قرية مزق تقع قريبا من مدينة تزوى في السابق ومنعزلة عنها، أمّا الآن فهي داخلة ضمنها، نظرا إلى التوسع العمراني الّذي شهدته نزوى في هذا العصر.

(7)-أحمد بن مسعود السيابي، المرجع السابق، ص13.

(8)- شمس الين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/ 1996م، ص481.

(9)- المرجع نفسه، ص482.

3-3- مناطق انتشار المذهب الإباضي في الجزائر:

لا يزال أتباع هذه الفرقة يعيشون إلى يومنا هذا في سلطنة عمان ويشكلون أغلبية المسلمين فيها، كما ينتشرون في شمال إفريقيا في ورقلة ومزاب من بلاد الجزائر[1].

ويعود سبب التواجد الإباضي في دول المغرب العربي شمال إفريقيا إلا أن الإباضية في بداية أمرهم قاموا بإرسال دعاة إلى المغرب لنشر الدعوة، وبفضل القبائل البربرية انتشر للمذهب الإباضي في شمال إفريقيا وهو موجود إلى اليوم في قبائل سكن الصحراء في جنوب الجزائر مثل بني مزاب في تيهرت (ينظر الملحق رقم 01) [2].

رابعا- المذهب الحنفي:

عبارة عن آراء الإمام أبي حنيفة وأصحابه المجتهدين في المسائل الاجتهادية الفرعية، وتخريجات كبار العلماء من أتباعهم بناء على قواعدهم وأصولهم، أو قياسا على مسائلهم وفروعهم.[3]

يعد المذهب الحنفي من أوّل المذاهب الفقهية الّتي أسست من طرف أبي حنيفة النعمان بن ثابت التميمي الكوفي (150هـ).

ثم أخذ أتباعه وتلاميذه في نشر آرائه وفتاويه، فعقدوا لها القواعد، ووضعوا لها الضوابط والأصول، وبذلك اكتمل تكوّن المذهب الحنفي، وقد انتشر هذا المذهب في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية. [4]

---

(1)- شمس الين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المرجع السابق، ص208.

(2)- سعد رستم، المرجع السابق، ص208.

(3)- أحمد بن محمد نصرالدين النقيب، المرجع السابق، ص38.

(4)- أحمد بن محمد نصرالدين النقيب، المرجع السابق، ص39.

4-1- سيرة ذاتية عن الإمام أبو حنيفة:

أ- مولده: هو النعمان بن ثابت المزربان(*)أبناء فارس الأحرار[1]ولد سنة ثمانين بالكوفة[2]

وفي رواية أخرى أنّه ولد سنة 61ه ولكن لا مؤيد لهذه الرّواية وهي لا تتفق مع نهاية حياته، إذ أنّ المتفق عليه هو أنّه لم يمت قبل سنة150ه. [3]

ويقال أنّه النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه التميمي الكوفي إمام الله وفقيه الأمة، أحد أئمة الإسلام العظام، وأحد السادة الأعلام، كان جده زوطى مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبة فأسلم فأعتقوه وأما أبوه ثابت فقد ولد على الإسلام. [4]

ويقال أنّ أبا حنيفة مولى بني تيم الله بن ثعلبة، فقيه أهل العراق إمام أصحاب الرأي وأبوه هو ثابت بن زوطى الفارسي. [5]

كان والد جده من أهل كابل عاصمة أفغانستان (الحالية)وعمل في تجارة الخزف وعاش في الكوفة ولقب بالإمام الأعظم لعلمه وفقهه.[6]

ب- نشأته وطلبه للعلم:

نشأ- رحمة الله عليه- بالكوفة في أسرة مسلمة صالحة أبية كريمة وكان وحيد أبويه، كان أبوه حزازا يبيع الأثواب في دكان له بالكوفة وخلف أبو حنيفة أباه بعد ذلك فيه. [7]

(*)- المزربان: بفتح السكون فضم الزاي، أنظر: الخيرات الحسان مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان لأبي حجر الهيثمي، ص22

(1)- وهبي سليمان غاوجي، أبي حنيفة النعمان، إمام الأئمة الفقهاء، دار القلم دمشق، الطبعة 6، 1996، ص47.

(2)- أحمد بن محمد بن نصير النقيب، المرجع السابق، ص47.

(3)- شمس الدين محمد عبد اللطيف، أبي حنيفة النعمان وآراؤه وفقهه الكلامية، مذكرة لنيل الماجيستر في الفلسفة الإسلامية جامعة الإسكندرية قسم الفلسفة، 1999، ص8.

(4)- وحدة البحث بإدارة الإفتاء، المرجع السابق، ص5.

(5)- وهبي سليمان غاوجي، المرجع السابق، ص30.

(6)- سعد رستم، المرجع السابق، ص145.

(7)- وهبي سليمان غاوجي، المرجع السابق، صص48-50.

اشتغل تاجرا بداية أمره، ويبدو أنّه لم يجد من يرشده إلى طلب العلم منذ نعومة أظافره إلى أن فيض الله له الإمام الشهبي(رحمه الله) الّذي توسم فيه الفطنة والنباهة فنصحه بتلقي العلم والتردد إلى العلماء وأخذ بنصيحته وأقبل على العلم. [1]

فكان أوّل ما نظر في علم الكلام من بلغ فيه مبلغا عظيما ثم هيأه الله ما يعرفه عنه، حيث كان يجالس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان (رحمه الله) فجاءته امرأة ذات يوم فسألته عن مسألة في الشرع، فلم يجد لها جوابا، فمضت إلى حماد فسألته، فأجابها فرجعت فكان ذلك سببا في تركه لعلم الكلام ولزومه حلقة حماد (رحمه الله). [2]

اتجه إلى علم الأصول الدين ومناقشة أمل الإيحاء والضلال ودخل البصرة مرات عدة يناقش ثمة ويجادل ويرد الشبهات عن الشريعة ويدفع عنها ما يريد إلحاقه أهل الضلال. [3]

انتقل أبو حنيفة (رحمه الله تعالى) بكليته إلى شيخه حماد وعلمه الفقه حتى بلغ أقرانه وتجاوز أمثاله وسابقيه في حلقة شيخه لخلصه وأدبه، استمر على هذا الحال من الصحبة والملازمة ثماني عشر حتى مات حماد (رحمه الله تعالى). [4]

كان أبو حنيفة تاليا للقرآن، مجادلا، معلما في استنباط فقه من القرآن الكريم، واستعمله الرأي والقياس. [5]

رغم غزارة علمه وإمامته وإجلالته وتميزه في فقه الشريعة إلا أنّه لم يكن من المستمعين بالتصنيف والتدوين، وذلك راجع إلى تصدره للفتيا، وانشغاله وإقباله على التدريس والتعليم ومناظرته لأهل البدع من الخوارج. [6].

---

(1)– أحمد بن محمد، نصر الدين النقيب، المرجع السابق، ص48.

(2)– وحدة البحث لإدارة الإفتاء، المرجع السابق، ص09.

(3)– شمس الدين محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص29.

(4)– وهبي سليمان غاوجي، المرجع السابق، ص56.

(5)– سعد رستم، المرجع السابق، ص147.

(6)– وحدة البحث بإدارة الإفتاء، المرجع السابق، ص12.

ج- صفاته:

كان أبو حنيفة جميلا حسن الوجه حسن اللحية حسن الثوب ليس بالقصير وليس بالطويل، حسن الهيئة، كثر التعطر بريح الطيب.[1]

د- وفاته:

توفي (رحمة الله عليه) في سجن بغداد في شهر رجب وقيل في شعبان سنة خمسين ومئة وله سبعون سنة، وصلى عليه ستة مرات من شدة الزحام ودفن في مقابر الخيزران ببغداد.[2]

4-3- دخول المذهب الحنفي للجزائر:

انتشر المذهب الحنفي بداية في بلاد المشرق الإسلامي بالضبط في المناطق الّتي كانت تشملها الخلافة العباسية، وكانت بعض المناطق تعتبره المذهب الرسمي لها وبهذا تمكن مذهب أبي حنيفة من التغلب على معظم الولايات الإسلامية المشرقية.[3]

بينما انتشر بشكل واسع في الجزائر خلال العهد العثماني، إلا أنّ هذا لا يعني أبدا أنّ العثمانيين هم من كانت لهم سبق في إدخال المذهب الحنفي إلى الجزائر، حيث بدأ المذهب ينتشر في شرق الجزائر وتونس على أيدي الخلافة ولاة بني الأغلب وكان سائدا المذهب المالكي والإباضي أيضا في أجزاء محدودة.[4]

فرض المذهب الحنفي نفسه في الجزائر حيث اعتبر مذهب الدولة وليس السكان حيث عرف انتشار أكثر حيث ظهر علماء كتبوا ودرسوا وأفتوا على قواعد الإمام أبي

---

[1]- روابح شهرة، الصراع المذهبي بين المالكية والحنفية في عهد الأغالبة (184-296هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 08 ماي 1945، (2017-2018م)، ص62.

[2]- أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص14.

[3]- محمد أبو زهرة، المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ت، ص365.

[4]- صالح بوشيش، المرجع السابق، ص 154.

حنيفة، كما كان لعلماء المذهب الحنفي تأليف وآراء، فأسرة ابن العنابي كانت حنفية وألف أيضا ذلك.[1]

اعتبرت الجزائر أهم المراكز الحنفية وتقلد فيها أشخاص ذوي باع في أعلى المناصب المهمة مثل حسن بن محمد العنابي الّذي تولى الفتوى أربع مرات كما لقب بشيخ الإسلام وهو اللقب الّذي ولي قضاء الحنفية فيها وكان المذهب الحنفي في البليدة والمدية وبايلك التيطري ومدينة قسنطينة وبايلك الشرق.[2]

كان علماء الأحناف يتوافدون للجزائر بغرض تولي الوظائف الشرعية للإفتاء والقضاء والتعليم والتدريس وغيرها.[3]

تعتبر الجزائر العاصمة أهم المراكز الحنفية إضافة إلى عنابة وقسنطينة، وقد عمل أعلام من المذاهب على محاولة إثبات لها في مازونة ووهران، وقد تم أهم ذلك في نطاق ضيق.[4]

4-4- علاقة الحكام بعلماء المذهب الحنفي:

شكل علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني عنصرا وفئة مهمة وأساسية كان لها دور كبير ومكانة مرموقة داخل المجتمع ما كان لها من تأثير ديني وسياسي وثقافي والاجتماعي خاصة، فقد كانوا في اتصال مباشر مع الناس رغم مكانتهم العلمية والدينية وذلك من خلال حلقات التدريس وخطب الجمعة والزوايا والمجالس القضائية وفي المساجد والمقاهي والأسواق.[5]

---

(1)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص65.

(2)- صالح بوشيش، المرجع السابق، ص23.

(3)- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية، تق، تح، تع، أبو القاسم سعد الله، درا الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، لبنان، ص ص90-91.

(4)- صالح بوشيش، المرجع السابق، ص154.

(5)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج01، ط02، الجزائر، 1985، ص326-327.

حظيت هذه الفئة بالتقدير والاحترام في المدن والتقديس والطاعة العمياء في الريف بسبب نفوذها الروحي والديني، بحيث كان لهم الدور الأساسي المتمثل في تعليم الناس دينهم بأحكامه وشريعته الصحيحة[1]، والدعوة إلى الإصلاح والنهوض بالمجتمع من خلال إنشاء جيل ذو زاد علمي وثائقي وأخلاقي وهذه المهمة الّتي تولاها العلماء.

تولت هذه الفئة عدة مناصب حيث نلاحظ تنوعا واسعا فشملت التدريس والإفتاء والقضاء والتأليف حيث تعرج إلى فكرة أنّ التدريس كان أقل المناصب تنافسا بين العلماء وذلك باعتباره من الوظائف العامة لهم. [2]

4-4-1- مظاهر العلاقة بين السلطة والفقهاء المذهب الحنفي:

تنوعت مظاهر العلاقة بين السلطة والفقهاء حيث أنّ كلّ واحد منهم كان يحتاج إلى الآخر، فالسلطة تعتبر صاحبة الأمر فيما تعتبر فئة العلماء هي الركيزة ما بعد السلطة باعتبارها (فئة العلماء) ذات تأثير كبير على السكان وهذا ما تحتاج إليه السلطة قوة تعينها على استمرار حكمها.[3]

وعادة ما تكون حاجة السلطة إلى الفقهاء أكبر من حاجة الفقهاء لرموزها وأركانها فتبادر السلطة بمراسلة الفقهاء تطلب منهم العون والمدد وذلك خاصة عندما يتعلق الأمر بالمكانة والمحافظة على السلطة في الأوقات العصيبة، الّتي يكون فيها الحكام بحاجة إلى الدعم المعنوي والتعبئة الشعبية للوقوف في وجه الأخطار واستعادة الحكم والحفاظ على الأمن والاستقرار والتصدي للاضطرابات سواء الداخلية أو الخارجية.[4]

---

[1]- مخفي مختار، "دور علماء الجزائر اجتماعيا سياسيا خلال العهد العثماني (1518-1830م)"، **مجلة متون**، جامعة سعيدة، مج 08، ع 04، 2017، ص372.

[2]- المرجع نفسه، ص372.

[3]- محمد أوجرتني، الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، (2014-2015م)، ص332.

[4]- محمد أوجرتني، المرجع السابق، ص332.

أثناء حصول الفوضى وغياب الاستقرار وعندما يشعر الحكام بخطر يهددهم فانهم يتوجهون برسائل الود والمحبة إلى العلماء وذلك بغية التقرب منهم مالئين رسائلهم بالآيات والأحاديث النبوية مذكرين إياهم بضرورة طاعة أمير المؤمنين ونصرته، أمّا في أوقات السلم والأمن فإنّ الحكام ينسون ما كانوا فيه من ضيق فيحيدوا عن الصواب ويكثروا الظلم لمختلف فئات المجتمع فيهم الاستبداد والطغيان. [1]

أ- مظاهر التعاون والتقارب:

- الاحترام والمشورة:

بنيت علاقة من الاحترام بين الاحترام بين السلطة والعلماء فقد احسن العثمانيون بأن أقرب فئة لهم هم العلماء وبالتالي اطمئنوا لهم[2]، كما كانوا يدينون بالولاء لرجالهم المرابطين ويدينون الصوفية ويحترمون العلماء. [3]

كما سعى العثمانيون إلى فتح جسور التعاون والتنسيق مع الفقهاء بمختلف صفاتهم ووظائفهم سواء منهم القضاة أو الأئمة، وهناك الكثير منهم ممن تحمل الأذى في سبيل نصرة حكمهم والعمل على استقراره نذكر منهم الفقيه التلمساني أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغو التلمساني (782-845هـ/1380-1441م)[*]، وقد وصف بالفقيه العابد القائم بالطاعة والولاء وكان حليفا للأتراك ومفتي تلمسان وله فتاوى كثيرة. [4]

وكانت حاجة الحكام للفقهاء تنجد كلما حصلت مشاكل ومخاطر تهدد أمن وسياسة الإيالة، فحينما قامت الحرب بين إسبانيا والجزائر في وهران[**]عام (1206هـ-1791م) دفع

---

(1)- محمد أوجرتني، المرجع السابق، ص332.

(2)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989 ص464.

(3)- محمد أوجرتني، المرجع السابق، ص333.

(*)- فقيه وعلامة مشهور ولد في تلمسان وكان متوددا للسلطة السياسية من أشهر تلاميذه عبد الله التنسي التلمساني الفقيه والمحقق.

(4)- محمد أوجرتني، المرجع السابق، ص334.

(**)- هي حرب قام فيها كل من ملك المغرب مولاي إسماعيل ومراد باي حاكم تونس بالهجوم على أراضي الإيالة الجزائرية من الشرق والغرب.

بحسن باشا إلى تجميع الفقهاء واستشارتهم في كيفية الرد على الهجومين وبالتالي فقد كانت السلطة تلجأ إلى استشارة وأخذ رأي العلماء في قراراتها وتطلعهم على خططها[1].

- المراسلات والزيارات:

أيضا من بين الأمور الّتي جمعت بين السلطة والفقهاء هي رابطة المراسلات فنجد الباشوات والحكام سعوا كثيرا إلى التقرب من العلماء، فهم بحاجة كبيرة لهم واختلفت الحاجة سواء لدينهم أو لعلمهم أو لموالاتهم، فتعددت المراسلات بينهم، ومن أمثلة ذلك نجد يوسف باشا(*) فنجد أنّه كان يفهم مقاصد العلماء وتبادل العديد من الرسائل معهم مثل ما فعل مع علماء عنابة كمحمد ساسي البوني، وملخص إحدى الرسائل أنّه طلب معونته وتدخله لأجل جلب الطاعة. (2)

وكذلك نجد من بين المراسلات رسالة الداي مصطفى باشا الّذي راسل الشيخ محمد بن الفكون وذلك أثناء فتنة ابن الأحرش يبني عليه بعبارات الشكر والاحترام والعرفان والتقدير لابنه الّذي دافع على قسنطينة في غياب الداي. (3)

ومن المراسلات الإدارية نجد رسالة عمر الوزان الّتي بعث بها إلى حسن آغا حيث كان مضمونها اعتذاره عن منصب القضاء الّذي عرضه عليه فرفضه، فقد عثروا على وثيقة اعتذار لحسن آغا. (4)

---

(1)– لعمارة مريم، عاشور إبتسام، العلماء وعلاقتهم بالسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، (2021–2022م)، ص52.

(*)– يوسف باشا: إعتلى كرسي الحكم وخلف والده كان أحد حكام الأسرة الكرمانلية، عام(1832/1975م)، تميز عهده بالتطور والرخاء للمزيد، أنظر، على العجيلي عبد السلام جماعة، محمد العارف قشقش، "سياسة يوسف باشا وأثرها السياسي والاقتصادي على إيالة طرابلس الغرب خلال (1795–1832م)"، **مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية**، مجلد 06، العدد12، ص19.

(2)– لعمارة مريم، عاشور إبتسام، المرجع السابق، ص40.

(3)– المرجع نفسه، ص41.

(4)– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ص 382،

ومن هذه المراسلات نلاحظ أن الحكام كانوا يولون للعلماء مكانة واهتمام كبير، فقد كان لهم التأثير البالغ على الأهالي وبالتالي كانت السلطة تسعى للحفاظ وربط علاقتها بالفقهاء.[1]

وفي الأخير نستنتج أن الدولة العثمانية اعتبرت المذهب الحنفي المذهب الرسمي لها في الإيالة الجزائرية. وبالتالي هذا ما ساعد على انتشاره بصفة أكبر في أنحاء الجزائر.

[1]– لعمارة مريم، المرجع السابق، ص41.

الفصل الأول

المفتي الحنفي ابن العنابي

1- المولد والنشأة

2- ثقافة ابن العنابي وأفكاره الإصلاحية

3- وظائفه ومهامه

1-المولد والنشأة:

هو عبد الله بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد بـــن عيســـى الأزميلتـــي (أو الأزميرلي)، الجزائري، الحنفي، الأثري، الشهير بابن العنابي.[1]

ولد ابن العنابي في مدينة الجزائر سنة 1189هـ الموافق لـ1775م حسب ما أكده ذلـــك في إجازته للشيخ محمد بيرم التونسي سنة 1245هـ[2]، وشهرته العنابي أبو ابـــن العنـــابي وكان على مذهب الحنفية وأسرته قديمة في تاريخ الجزائر[3]. وكان الّذي يكتبه هو بنفسه "ابن العنابي"، ويختلف بعض المؤلفين في كتابة اسمه، فمنهم من يكتب "العنـــابي" بـــدون كلمة "ابن"[4].

اشتهر بابن العنابي نسبة لمدينة عنابة وهي مدينة بأقصى الشرق الجزائري[5]. ويرجع أصل أسرته لنواحي تركيا، ثم نزحت الى عنابة، ومنها انتقلت الى مدينة الجزائر.[6]

والظاهر أن شهرة العنابي بهذا الاسم أنّها منتسبة لأحد أجداده الّذين قدموا من آسيا الصغرى إلى الجزائر في العهد العثماني، ولعلّ جده الحسين هو الّذي أخذ التسمية أولا.[7] ويقال أيضا أنّها من أبرز العائلات العلمية الّتي قدمت من إسطنبول، وموطنها الأصلي

[1]- محمد زياد بن عمر التكلة، إجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري (1189هـ-1267هـ)، دار النشر الإسلامية، ط1، لبنان، 2008، ص06.

[2]- سعيد فرج، صدام حسين قداشي، المشروع النهضوي في فكر ابن العنابي الجزائري وخير الدين التونسي من خلال كتاب السعي المحمود في نظام الجنود وأقوام المسالك في معرفة الممالك، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة يحي فارس، المدية، 2015-2016، ص20.

[3]- أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العناب المتوفى في 1850م صاحب كتاب السعي المحمود في تنظيم الجنود، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990، ص22.

[4]- مينة عبد الرؤوف، لطيفة أوجرفور، محمد العنابي ودوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي (1775-1816م)، مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر، جامعة أحمد دراية- أدرار، الجزائر، 1442-1443هـ/2021-2022م، ص12.

[5]- علي أبقو، "المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي وإسهاماته في مجال الثقافة، السياسة، الإصلاح والمقاومة"، **مجلة تجسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات**، المجلد 01، العدد 01، جامعة باتنة، الجزائر، 2016، ص9.

[6]- محمد زياد التكلة، المرجع السابق، ص6.

[7]- سعيد فرج، المرجع السابق، ص20.

كان اليونان وبالضبط من مدينة جنينة، فاستقرت في عنابة حيث اكتسبت لقبها ثم انتقلت إلى مدينة الجزائر حيث مركز السلطة [1].

ولد ابن العنابي في أسرة عريقة في العلم والوجاهة، فأبوه محمود من علماء الحنفية وأحد أعيان البلدة، وكان جده قاضي الحنفية وأبوه حسين مفتي الحنفية بها، ولقبه شيخ الإسلام، وله تفسير (ت 1150م)، وأخوه لأمه الشيخ مصطفى العنابي كان من فقهاء الحنفية كذلك، وله مؤلفات (ت 1131هـ) [2].

تعد أسرة العنابي من الأسر القديمة في تاريخ الجزائر ولكنها ظهرت فيما وبعد مجيء العثمانيين فنحن نجد اسم جده الأعلى- حسين بن محمد بن العنابي- في قائمة المفتين الأحناف في الجزائر بتاريخ (1148هـ-1735م) والمفتي الحنفي في الجزائر العثمانية هو "شيخ الإسلام" الّذي يفوقه في المنزلة والاعتبار سوى "الداي" أو رئيس الدولة[3].

كان عصره من أحرج الفترات التاريخية، الّتي عرفها العالم آنذاك تجمع بين القرنين 18و19، بحيث عرف فيها العالم الثورة الفرنسية[4]، وما نتج عنها من أحداث مست بتأثيراتها جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية، وعاصر في بلاده الجزائر حروبا خارجية خاصة ضد الإنجليز، الأمريكان، الفرنسيين، والإسبان وغيرهم[5].

ينتمي ابن العنابي إلى أسرة عريقة لها باع طويل في العلم والمعرفة حيث شغلوا وظائف رسمية في القضاء الحنفي من بينهم جدهم حسن بن محمود الّذي كان عالما واسع

---

(1)- صبرينة شبيرة، حضر مدينة الجزائر وموقفهم من الاحتلال الفرنسي (1830-1848م)، مذكرة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014م، ص18.

(2)- محمد زياد التكلة، المرجع السابق، ص6.

(3)- سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص22.

(4)- صبرينة شبيرة، المرجع السابق، ص18.

(5)- علي أجقو، المرجع السابق، ص09.

المعرفة بالعلوم الشرعية وله تفسير القرآن الكريم، واشتهر عالم آخر بهذه العائلة وهو المصطفى بن رمضان العنابي المتوفى سنة 1130ه [1].

كان ابن العنابي ينقل عن جده حسن العنابي، موضوع بهذا البحث، في كتابه "السعي المحمود" عدة مرات وفي غيره من فتاويه وكتاباته وهو يشير بهذه العبارة: «قال مولانا الجد الأكبر حسين بن محمد رحمه الله في تفسيره» وتذكر المصادر أنّ حسن ابن العنابي قد تولى الفتوى أربع مرات، وتوفي سنة (1150ه–1737م)[2].

توفي ابن العنابي رحمة الله تعالى عليه في الربيع الآخر سنة (1267ه–1851م) عن ثمان وسبعين سنة في منفاه بمدينة الإسكندرية، وأرخ وفاته الشاعر محمد العاقل بقوله: «اليوم رمس مفتي الإسكندرية»[3].

ولكننا نجد اختلاف لدى الباحثين في تاريخ وفاته بين 1850 و1851م، فقد ذكر خير الدين الزرلكي أنّه توفي سنة 1850م في كتابه الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين في جزئه السابع، بينما نجد الدكتور مرين قيمة يذكر أنّ تاريخ وفاته كان في 1851ه، ضمن كتابه "صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث" وهي نفسها السنة الّتي ذكرها أبو قاسم سعد الله في مقال له[4].

ذكر أنّ أسرة ابن العنابي ما تزال حتى اليوم بالإسكندرية وتعرف بأسرة المفتي الجزائري.

وخلاصة القول أنّ ابن العنابي ولد في أسرة ذات أصول تركية عريقة في العلم والجاه، ممّا جعلها تتمتع بمنزلة دينية وسياسية وفكرية عامة، وتركوا مؤلفات وآثار علمية

[1]– سعيد فرج، المرجع السابق، ص20.

[2]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص23.

[3]– لطيفة أجرفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص13.

[4]– علي أجقو، المرجع السابق، ص10.

أثرو بها المكتبة الإسلامية التراثية، لكنها ضاعت حينما ابتليت الجزائر على غرار العديد من بلاد الإسلام بالاستعمار الأوروبي.[1]

2- ثقافة ابن العنابي وأفكاره الإصلاحية:

2-1 تعليمه:

يعد المنشأ الأسري من الأمور الأساسية الّتي تساعد في تكوين الفرد وتحصيله العلمي وتلقيه مبادئ الحياة، إذ أنّه وبمجرد خروجه إلى العالم الخارجي يجد نفسه محصنا بسلاح العلم والقيم الّتي اكتسبها في بيته الأسري، وهذا ما يساعده في الوقوف متصديا لتيارات الثقافة الّتي تستهدف قيمه وزاده المعرفي، وهذا ما يظهر جليا في شخصية ابن العنابي الّذي تلقى ثقافة سار عليها بقية مشوار حياته ناهجا نفس النهج الّذي سار عليه آباؤه وأجداده من العلماء من قبل[2].

كان ابن العنابي من أسرة جزائرية لها اعتبارها الديني والفكري، تولى أفرادها مناصب دينية وفكرية، اشتهر جده لأبيه (محمد بن حسين) بالعلم وحظي بالتقدير الكبير[3]. وتثقف ابن العنابي ثقافة واسعة بمفهوم عصره، ونحن نقول "بمفهوم عصره"[4]، وكان من الأوائل الّذين تلقى عنهم العلم في وطن جده ثم والده[5].

كان ابن العنابي متمكنا في العلوم الشرعية خاصة، وأقدم نص وجد له يدل على ذلك، فقد عثر له على جواب أجاب به على مسألة في التوحيد بدأه هكذا: « رد على سؤال نصه بعد عنوانه، إذا قيل حيث كان أهل الحق مطبقين على أنّ الحق تعالى يرى في الآخرة بالأبصار وأن الرؤية عبارة عن الإدراك المفسر بخلق الله تعالى فينا علما

[1]- علي أجقو، المرجع السابق، ص10.

[2]- لطيفة أرجرفور، المرجع السابق، ص15.

[3]- عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام وقضايا ومواقف)، كولوريوم، د ط، الجزائر، 2012، ص13.

[4]- سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص19.

[5]- المرجع نفسه، ص 30-31.

ضروريا عند ذلك فمتعلق هذا الإدراك نفس الذات العلية أم لا فأقول أعلم أو لا إن المدركات تنقسم إلى ما يدخل الخيال كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة المتشكلة وإلى ما يدخل في الخيال كذات العلية، وكلّ ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والإرادة».

وفي النّص القصير يتضح لنا أنّه يعود إلى سنة (1226هـ/1811م) عرفنا أنّ منزلة ابن العنابي المبكرة لدى علماء عصره، وهي المنزلة الّتي جلبت إليه حكام عصره[1].

كانت ثقافته تقليدية إذ ما حكمنا عليه من خلال كتابه المذكور وغيره من آثاره المكتوبة مثل فتاويه وثبته المعروف (بثبت الجزائري)، فهو حافظ وناقل أكثر منه مفكرا ومجتهدا، وقد تلقى العلم في وطنه على جده ووالده[2]، فقد قرأ عليه من القرآن وتلقى عنه الفقه الحنفي، ومختلف العلوم المتداولة، وقد تلقى عنه أيضا صحيح البخاري قراءة وسماعا بجميعه وأجازه[*]، وقد أدرك العنابي جده محمدا، وسمع عليه قطعة من صحيح البخاري وحصل على إجازته[3]، كما تلقى العلم أيضا على مفتي المالكية على ابن عبد القادر بن الأمين[4]، كما قرأ عليه بعض صحيح البخاري وجملة من صحيح مسلم، وتلق عن بعض المسلسلات.

وذكر عبد الحميد بك في "تاريخه" (ص173) أنّ محمد الصالح البخاري الرضوي لما اجتازه الإسكندرية أجاز للعنابي[5]. وتعلم ابن العنابي وتثقف بثقافة عصره، سواء تلك العلوم النقلية أو العقلية ومن أساتذته البارزين نذكر:

---

[1]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص30–31.

[2]– المرجع نفسه، ص30.

[*]– هي اصطلاح القوم أن يأذن الشيخ لغيره بأن يرد ومؤلفاته أو مروياته وكأنها تتضمن إخبارهما أذن له بروايته عنه.

[3]– محمد زياد التكلة، المرجع السابق، ص07.

[4]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص30.

[5]– محمد زياد التكلة، المرجع السابق، ص07.

- **مفتي المالكية بالجزائر المحمية علي بن القادر بن الأمين (ت1235هـ):** درس بالأزهر الشريف وأخذ عن علمائه وشيوخه، درس عليه ابن العنابي وأخذ عنه الفقه المالكي والحديث الشريف.

- **حمودة بن محمد المقاسي الجزائري (ت1245هـ):** درس على علماء الجزائر ثم اتجه إلى مصر حيث انتسب إلى الجامع الأزهر (ينظر الملحق رقم 03) وتتلمذ على علمائها، جمع المقاييس أسانيده في ثبت خاص يرويه عنه تلميذه ابن العنابي.

- **الإمام أبو عبد الله محمد صالح الرضوي البخاري (ت1263هـ):** أصله من سمرقند وبها ولد ودخل بخاري الهند واليمن والحجاز وتونس والجزائر ومصر والمغرب الأقصى ثم حط الرحال بالمدينة المنورة [1].

كان في مدينة الجزائر علماء معاصرون له، نذكر منهم المفتي الشاعر محمد بن الشاعر محمد بن الشاهد[*]، والمفتي مصطفى بن الكبابطي[**]، والعالم محمد ابن مالك والكاتب السياسي حمدان خوجة[***]، وجميع هؤلاء لعبوا دورا بارزا[2]، وقد وصفه تلاميذه على أنّه سلفيا أثريا وحسب تزكية إمام عصره العلامة عبد الرحمن بن الحسن آل

---

[1]– علي أجقو، المرجع السابق، ص11.

[*]– محمد بن الشاهد: شاعر من فقهاء المالكية، من أهل مدينة الجزائر مولدا ونشأة وأصله من الأندلس (1206هـ-1792م)، تولى الإفتاء على مذهب الإمام مالك سنة 1192هـ وكان ينظم الموشحات للمزيد، أنظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت، لبنان، ط2.

[**]– مصطفى بن الكبابطي: كان متوليا لتدريس في الجامع الأعظم الكبير سنة 1240هـ، ويبدو أنه مارس التدريس سنة تخرجه 1227هـ، تخرج عليه تلاميذ كثيرون، تولى القضاء في المذهب المالكي، للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص11.

[***]– حمدان خوجة: من أوائل السياسيين بالجزائر الّذين تصدوا للاحتلال الفرنسي سنة 1830م، وعمل على إنشاء أوّل حزب سياسي جزائري، ولد في الجزائر سنة 1773م بضواحي العاصمة، مكث في أوربا نحو سبع عشرة سنة، للمزيد أنظر: عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، تح: روبارمنتران، الدار التونسية للنشر، ص07.

[2]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص30.

الشيخ، إذ يقول: "لقيت بصمر مفتي الجزائر محمد بن المحمود الجزائري الحنفي الأثري، فوجدته حسن العقيدة، طويل الباع في العلوم الشرعية"[1].

لا شك أنّ قوة ثقافة ابن العنابي قد جاءت من اهتمام شخصي بالدرجة الأولى، ومن تقاليد أسرته بالدرجة الثانية[2]. ولم يكن ابن العنابي مجرد بالفقه وما إليه من العلوم، بل كان أيضا دبلوماسيا ناجحا، وخبيرا شؤون الدول يرى الدكتور أبو قاسم سعد الله أنّه يحق للجزائر الحديثة أن تفتخر بابن العنابي أو بأمثاله [3].

كان لابن العنابي مكتبة ضخمة ورثها عن أبائه وأضاف إليها مقتنيات من عنده، ويبدو كذلك أنّ مكتبته الخاصة قد أصيبت بالتلف أثناء إجباره على مغادرة الجزائر سنة 1830م بعد الاحتلال مباشرة، وقد تلف ما بقي منها بعد وفاته[4].

توفي العنابي تاركا وراءه مجموعة من الكتب، في الفقه، واللغة، والأدب، والتراجم، والسياسة، وهي مؤشر قوي على رجل ثقافة وفكر متميز[5].

ومن أهم مؤلفات ابن العنابي (ينظر الملحق رقم 02) نجد إضافة إلى كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود" صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة، شرح كتاب الدرر المختار في الفقه الحنفي، كتاب في البلاغة والأدب والتحقيقات السياسية لشرح نظم العلاقات المجازية، العقد الفريد في التجويد، معاني البيان أخذ الآخرة عن القرآن، ثمانية عشر رسالة في وقف العقار، فتح الفيومي بجواب أسئلة الرومي، مجموع فتاوى، أشعار

---

[1]– لطيفة أدجوفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص16.

[2]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص32.

[3]– عمر بن قينة، الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى (ابن المقنع وابن العنابي والكواكبي)، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000، ص49.

[4]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص32.

[5]– عمر بن قينة، الرؤية الفكرية في العالم والرعية، المرجع السابق، ص51.

ونصوص أدبيّة وهي عبارة عن نصوص كتبها في الأدب، رسالة في المرأة والحجاب، خاتمة في التوحيد، شرح متن الباركولي وهو آخر عمل لم يكمله [1] .

2-2 أفكاره الإصلاحية:

ظهرت أفكاره الإصلاحية في الميدان السياسي والعسكري خاصة، وهما المجالين الّذين انتشر فيها الفساد في أجهزتهما المختلفة العسكرية والإدارية، يضاف إلى ذلك الفساد الاجتماعي والاقتصادي[2].

أ- المجال السياسي:

يعتبر ابن العنابي من المفكرين المصلحين في الفترة الحديثة، حيث رصد لنا مجموعة من الأفكار الّتي جلها تصب في قضية الإصلاح[*]، بهدف الخروج من العالم الإسلامي، والانحطاط والتدهور وإعادة الهيبة والقوة الّتي كان عليها آنذاك، ومسايرة ما توصلت إليه الأمم الأوروبية حيث أفكاره جاءت مرتبطة بالأوضاع الّتي كانت سائدة في عصره، سواء السياس أو العسكري.[3]

إنّ الأفكار الّتي طرحها العنابي كانت وليدة الظروف الراهنة، حيث شاهد استبداد الدايات في الجزائر وإرهاقهم للرعية بجباية الأموال قصرا واستعمالهم للطالبين للعمل والولاية المتآمرين من أجله من الطائفة اليهودية[4].

يرى ابن العنابي ضرورة تقليد غير المسلمين في الأمور الحربية والصناعية والعلوم العلمية، فأنّه لا يرى ذلك بخصوص التشريع والعلوم السياسية بل صرح بأنّ السياسة "العقلية" لغير المسلمين لا يحتاجها المسلمون، فهو يقول إنّ ما عليه "الكفرة من سياستهم

---

(1)- سعيد فرح، المرجع السابق، ص21.

(2)- عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، المرجع السابق، ص24.

(*)- الإصلاح: إزالة الفساد في المجال الأخلاقي والاجتماعي، والإصلاح الديني هو إزالة البدع من العقيدة والشريعة، للمزيد أنظر: سردي الحبيب، مفهوم الإصلاح في الفكر العربي الحديث، ص05.

(3)- أحمد سرير عفاف، زاوي زينب، ابن العنابي ودوره الإصلاحي الفكري والسياسي (1189-1267هـ/1775-1851م) مذكرة ماستر، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، (1437-1438هـ/2016-2017م)، ص39.

(4)- سعيد فرج، المرجع السابق، ص32.

العقلية فنحن في غنى عنه"، لأنّ للمسلمين الكتاب والسنة، وبينهما التشريعات السماوية ما يغني عن القوانين الأوربية الوضعية[1].

ربط ابن العنابي السياسة بالشرع والدين والمتمثلة في السياسة الشرعية[2]، وقد أوضح ابن العنابي أنّ السياسة الشرعية مبنية على ثلاثة أمور هي:

1- **اللين وترك الفضاضة:** أو بعبارة أخرى تبصر الحاكم ومرونته وقدرته على خفض الجناح وكبح الغضب.

2- **المشاورة:** أو بتعبيرنا اليوم ديموقراطية الحكم وعدم الاستبداد بالرأي والتصرف.

3- **عدم استعمال الولاة:** أو الإطارات إذا كانوا راغبين في الولاية أو الوظيفة.[3]

ويقول ابن العنابي في هذا الخصوص: "أنه ينبغي على السلطان أن لا يقطع أمرا دونهم إلا بمشورتهم لأنّه ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف" [4]، إذ نجده لخص عصارة فكره في كتابه "السعي المحمود في نظام الجنود" الّذي ألفه سنة 1826م الموافق لـ1442هـ، حيث كان يدعو فيه إلى الأخذ بأسباب القوة المادية والقانونية من الغرب[5].

ألف كتابه بمصر وبعد نقله من الجزائر سنة 1831م الموافق لـ1247هـ، أعجب محمد علي باشا برؤية الرجل الإصلاحية وفكره الإسلامي الثاني ومواقفه الصلبة وصدقه في القول والفعل، كما أعجب بموضوع الكتاب ومنهجه وأمر بتدريسه وتلخيصه فهو كتاب سياسة الرعية ونظام الدولة وإعداد جيش قوي لحماية الأوطان من الأخطار الخارجية والاستفادة من النظم الغربية نفسها في إعداد الجيوش وتدريبها وتسليمها مع القوانين المضبوطة بما أمر به الشرع من عدو وإصلاح تمكينا للقيم الأصلية في حضارتنا الإسلامية، في القرآن والسنة النبوية مستندا في ذلك بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن

---

(1)- سعد الله، رائد التجديد، ص16.

(2)- أحمد سرير عفاف، المرجع السابق، ص41.

(3)- سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص97.

(4)- أحمد سرير عفاف، زاوي زينب، المرجع السابق، ص39.

(5)- سعيد فرج، المرجع السابق، ص09.

قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية 60].

ويعد ابن العنابي هو أحد رجال الفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي، فهو يعد رائد ليس في تجديد الفكر الإسلامي فحسب بل في الفكر السياسي، وهو متقدم في أكثر من جانب فكري وتجديدي من معاصريه دعاة النهضة الحديثة. فكان بحق صاحب الرؤية الإسلامية الصحيحة والاستعلاء والإيمان على أعداء الدين والداعي للجهاد في سبيل الله في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[1].

رفض الاستبداد والحكم المطلق الّذي عرف في عصره، محاولا الرجوع إلى الحكم كما كان السف الأول، ذلك من خلال حكم ورأي جماعي، خاصة وأنه اشتد فيه الظلم والطغيان، كذلك تمحص فكره حول أسس الحكم الناجح، حيث يتحقق النجاح إذا كان الحاكم يتولى سياسة الدولة وينظمها في مختلف شؤونها والفصل في مشاكلها وقضاياها[2].

استمد ابن العنابي رؤيته الإصلاحية من قيم الحضارة العربيّة الإسلامية بخلفية دينية واضحة سعيا للإصلاح وتمكينا للحس السياسي المسؤول وتأصيلا للتقاليد الإسلامية في الأخوة والمحبة والتآزر والعدل والإنصاف والعمل والإخلاص فيه ومكافأة الجادين من أهل العلم والفعل من دون إيثار لغير الكفاءة والإخلاص.[3]

حاول إعطاء أهمية كبيرة للعلماء، مبينا الدور الفعال في تسيير الأمور وقيام الدور والنهوض، باعتبارهم أصحاب المعرفة وأعلام هذه الأمة وأكثرهم فهما ووعيا، من خلال البحث والنظر وليس العلم والكتاب والسنة فحسب، وإنّما العلوم التطبيقية التجريبية الإنسانية عامة، خاصة وأنها ارتبطت بردود فعل دينية من قبل مفكرين العرب على

(1)– أحمد سرير عفاف، زاوي زينب، المرجع السابق، ص41.

(2)– المرجع نفسه، ص39.

(3)– سعيد فرج، المرجع السابق، ص30.

مظاهر الفساد والانحلال الّذي أصاب المجتمع خاصة أنّ هذه الحركات الدينية كانت عندهم أقوى الحركات الفكرية وأكثرها أصالة[1].

أورد الأستاذ سعد الله أنّ ابن العنابي عاش في لحظات حرجة من تاريخ الجزائر، وتاريخ المشرق الإسلامي، وهو النّصف الأول من القرن 19م، وقد رأيناه ينتقل بين أجزاء العالم الإسلامي (المريض) يحاول إيجاد الدواء، كما ينتقل الطبيب بين مرضاه فكان ينصح الحكام فينتصح له البعض، ويشيح عنه آخرون، حتى إذا أدركهم الغرق (مثل حسين باشا) استنجدوا به وولوه قيادة مهزوم، وأعطوه سيف مغلولا ليحارب به أقوى جيش في العالم[2].

إنّ الأفكار الّتي طردها العنابي كانت وليدة الظروف الراهنة، وفي ختام حوصلته لأمم أفكاره السياسية فأنّه لخصها في خاتمة كتابه الّتي جعلها في أمور شتى من أسباب النصر والقوة حصرها في الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[سورة الحج، الآية 40] [3].

ب- المجال العسكري:

يعد الجهاد الفرض الّذي يتم به بالدفاع عن الدين والوطن، وبه يصان الاستقلال وتحفظ الكرامة وتؤمن الحرية، كما أنّه السبيل لمجاهدة الظلم، وهو فرض كفاية عند جمهرة المسلمين، إلا في حالة اعتداء على أرض الإسلام حيث يصبح فرض عين[4].

يرى ابن العنابي في مقدمة كتابه هذه الظروف بشيء من الاختصار، فالأوروبيون -في رأيه- قد نظموا جندهم ليضروا بالإسلام وأهله، وأمام هذا الخطر الداهم أصبح من

---

(1)- أحمد سرير عفاف، زاوي زينب، المرجع السابق، ص41.

(2)- بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، المرجع السابق، ص24.

(3)- سعيد فرج، المرجع السابق، ص33.

(4)- المرجع نفسه، ص35.

المحتم على المسلمين أن يتعلموا منهم ما اخترعوه من صنائع ونظم، لأنّ في ذلك مصلحة عليا للدين والأمة الإسلامية [1].

عرف عن ابن العنابي انه كان يرصد أفكاره عن طريق الموازنـــة بـــين التطـــور الحاضر في الغرب وبالمقابل التراجع الكبير للعرب المسلمين آنذاك، محاولا رصد أمـــم لأسباب الّتي أخلت بالتوازن وحاولت هذه الدعوة إلى ضرورة النهوض بالإصلاح الجيش على قواعد شرعية مقررة وحماية دار الإسلام، ومفاد هذا التوازن أنّ النظام الّذي ابتكرته أمم الغرب بجيوشها ودربتهم عليه قد بلغ في الدقة والإحكام ويصعب على قادة الجيـــوش الإسلامية تعريفه لجنودهم وصد خطر الأعداء[2].

عرف ابن العنابي الأمور الحربيّة لأنّها كلّ قوة مادية أو معنوية لردع الأعداء والحط من شأنهم واعتبر كلّ ذلك أمرا شرعيا.

كما كان ينصح المسلمين بالجاهزية في القتال والإعداد والاستعداد له، فيقول: "أنّ الأوروبيين إذا اخترعوا عتادا حربيا جديدا قد يضر بالمسلمين ما على هؤلاء إلا أن يتعلموه ويحذقوه، بل عليهم أن يسبقوا في ذلك أصحاب الاختراع أنفسهم، وإذا قضى لأمر منهم مادام ذلك في قدرتهم، لأنّه لا يعقل أن يواجه المسلمون هذا الاختراع الجديد القتال بأسلحة بالية غير فعالة، فالتمسك بالتقاليد القديمة في هذا المجال يلحق بالمسلمين[3].

الجهاد له دور أساسي في ضمان حماية الدين والوطن والدفاع عنهم، والدولـــة بـــلا جيش تعتبر دولة مهزومة لا مجال لها من البقاء، حيـــث هـــو الّـــذي يحميهـــا داخليـــا وخارجيا[4].

ونلاحظ أنّ العنابي استند بغزوتي أحد وبدر وكيف قسم فيهما الرسول (ص) جيشه، وفي هذه الفكرة انتقده أحد بقوله يعتبر اليوم وفي عصر القوميات محل نظر مع ابن

[1]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص76.

[2]– أحمد سرير عفاف، زاوي زينب، المرجع السابق، ص41.

[3]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص64.

[4]– أحمد سرير عفاف، زاوي زينب، المرجع السابق، ص42.

العنابي تحدث في فصوله عما كان وليس عما سيكون، وأنه أفتى باتباع النصارى في كلّ جل قل من نظامهم العسكري وليس في تصنيف القبائل وإنّما تصنيفه الفرق. وخصص الفصل الرابع والخامس والسادس، للحديث عن ضبط الجند، وضبط عددهم وقوادهم وتسويسهم على أساس كلّ فرقة، عدد الجند على نماذج غزوتي بدر وأحد[1].

أمّا الفصل السابع فتناول فيه مسألة تضييق ملابس الجند وتقصيرهم على السيرة النبوية، وكذلك الصحابة الّذي قال عنهم أنّهم كانوا يضيقون اللباس في وقت الحرب، وقد قيد ضيق اللباس بهدف المنفعة كخدمة أو دفع البر وليس التشبه بالأعداء، وقد قال بأنّ الأفضل أن يكون منتهي طول الثياب إلى نصف الساق، وأن الزيادة على ذلك منتهى الكعب مرخص فيها من غير تضييق ولا تأثيم وأن ما أسفل الكعبين غير مرخص فيها عليه بالنار[2].

الدعوة إلى الأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية، والحث على التفوق واليقظة والاجتهاد والعتاب على التمسك بالأمور البالية إلى تحالف الشريعة والرجولة[3].

وفي الأخير يمكن القول أنّ ابن العنابي كان مصلحا مستنيرا ذا وعي بالحاضر والمستقبل، كما كان شهدت على ذلك حياته الّتي رأينا جوانب مهمة منها، وتراثه الّذي يأتي في مقدمته كتاب "السي المحمود في نظام الجنود" الّذي يعبر عن وعي ابن العنابي بما كان يدبره الغرب الصليبي الحاقد للعالم الإسلامي عموما، والجزائر خصوصا[4].

3- وظائفه ومهامه:

تقلد ابن العنابي وظائف رسمية متعددة وما رشحه لذلك هو مكانة أسرته ومنزلته العلمية وخاصة أن أسرته كانت ذات حظوة لدى دايات الجزائر منذ القرن الثاني عشر. ومن بين هذه الوظائف والمهام، نذكر:

(1)- سعيد فرج، المرجع السابق، ص37.

(2)- المرجع نفسه، ص38.

(3)- عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، المرجع السابق، ص22.

(4)- المرجع نفسه، ص24.

3-1 القضاء:

كان أوّل ما تولاه هو وظيفة القضاء الحنفي في عهد الداي أحمد باشا[*] (1220هـ /1805م) إلى غاية (1223هـ/1808م)[1] وهو من المناصب الخطيرة والهامة الّتي تتطلب من صاحبه سعة العلم والاطلاع، فقد ولاه الداي أحمد باشا هذه الوظيفة وهو دون العشرين وبالضبط في 18 سنة بالإضافة إلى مهمة ثانية وهي الكتابة إلى باي تونس حمودة باشا[2]. وغاب عن الوظائف الرسمية لفترة لكنه عاد إلى المنصب في 1210هـ حيث مكث فيه حوالي ثلاث سنوات[3].

ويقال أنّ داي الدولة الجزائرية حسن باشا (1791-1797م) تدخل في شؤون القضاء حيث ألزمه بأمر ينطوي على مخالفة للشرع، فرفض وهذا يدل على ورعه واستقلاليته وقوله في قول الحق، وبعد أشهر في نفس السنة وفي عهد عمر باشا[**] ولي القضاء ثانية وبقي فيه ثلاث سنوات[4].

3-2 الإفتاء:

تولى مترجمنا مناصب مختلفة بما فيها الإفتاء الحنفي الّذي تولاه جده الأعلى حسن بن محمد[5]، وحين سافر إلى مصر تولى وظيفة الإفتاء والخطابة والأوقاف[6]، وفي

(*)- أحمد باشا: حكم الجزائر في (1220هـ/1805م) في عهده شهدت الجزائر عدة حروب مع البرتغال وتونس، وفتنة أحمد شاوش، ثار عليه العسكر وقتلوه (1223هـ/1808م)، للمزيد أنظر: أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1168-1246هـ/1754-1830م)، تقديم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 1974م، ص95-101.

(1)- سعيد فرج، المرجع السابق، ص22.

(2)- علي أجقو، المرجع السابق، ص13.

(**)- عمر باشا: تولى الحكم سن (1230هـ/1815م) في عهده عرفت الجزائر الجراد ومختلف الاضطرابات، الحرب مع الأمريكان، الحرب مع نابولي، حكم سنتين؛ للمزيد ينظر: أحمد شريف الزهار، المرجع السابق، ص117-130.

(3)- عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، المرجع السابق، ص19.

(4)- علي أجقو، المرجع السابق، ص13.

(5)- عمر بن قينة، الرؤية الفكرية في الحام والرعية، المرجع السابق، ص28.

(6)- سعيد فرج، المرجع السابق، ص22.

أواخر سنة (1244هـ/1829م) أرسل حسين باشا والي الجزائر يطلبه إلى الجزائر حيث أرسل له سفينة خاصة يطلبه فيها للعودة إلى الجزائر، وفي طريقه مر بتونس وأخذ عنه بعض علمائها ووصل إلى الجزائر أوائل سنة 1245هـ، وبعد عودته قلده الداي منصب الإفتاء على مذهب الحنفية(1).

كما يلفت النظر لدى ابن العنابي كثرة الفتوى بحيث نقل عنه علماء الجزائر وتونس ومصر وغيرهم، ولا غرابة في ذلك لأنّه متمكن من علماء الدين، ومن أشهر فتاويه جوابه على ستة أسئلة وجهها له نصارى وقد أجاب على مجموعة الأسئلة قبل الاحتلال مثل حكم الكلام أثناء تلاوة القرآن كما كانت له أجوبة عل آداب المجلس وقراءة القرآن(2).

3-3 التأليف:

اهتم العنابي بالتأليف، فألف مجموعة من الفتاوى على مذهب أبي حنيفة النعمان، وثبتا سماه الثبت الجزائري، ويبقي أهم مؤلف ابن العنابي والّذي خرج من نطاق المألوف ذلك الموسوم (السعي المحمود في نظام الجنود) ومن خلاله دعا إلى إصلاح الجيش الجزائري من خلال الاقتباس من أنظمة الجنود الأوروبية، متأثرا في ذلك بالثورة الفرنسية لعام 1789هـ وإصلاحات محمد علي باشا 1805م1840م في مصر وكذلك النظام الجديد الّذي أقره السلطان محمود الثاني(*) في عام 1826م، كما ألف نظام الإنكشارية بعد

---

(1)- لطيفة أجرفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص25.

(2)- محمد بوشناقي، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني (1310ه/1916م)، عصور جديدة، العدد 16-17، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، ربيع الأول، أبريل 1436هـ/2014-2015م، ص128.

(*)- محمود الثاني (1223-1255هـ/1808-1839م) تولى حكم عصره أربع وعشرون سنة، أفاد من إقامته الجبرية مع السلطان سليم الثالث حيث أطلعه الأخير على خطط الإصلاح إلا أنّه أذعن للإنكشارية فأمر بإلغاء الإصلاح؛ للمزي أنظر: أحمد سرير عفاف، المرجع السابق، ص31.

ظهرة مؤامرة في صفوف هؤلاء والّتي تفطن إليها السلطان وتمكن من القضاء عليها من خلال الاستعانة بالمدفعية.[1]

برز الشيخ محمد بن العنابي مؤلفات عديدة أحصاها الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه "رائد التجديد الإسلامي محمد ابن العنابي" بسبعة كتب ورسالة أجازه في "صيانة الرسالة ببيان القضاء والسياسة، العقد الفريد في التجويد" وغيرها من الكتب الأخرى بقيت مخطوط مكدسة في خزائن المكتبات المصرية والتركية والفرنسية كذلك، تنتظر خروجها إلى النور[2].

وفي سنة 1236هـ أدى فريضة الحج، لكنه اختار أثناء العودة –فيما يبدو- الإقامة بمصر، لسوء تفاهم بينه وبين النظام بالجزائر (أيام حسن باشا)، حيث تولى التدريس في جامع الأزهر نحو تسع سنوات، أي حتى سنة 1245هـ وهي السنة نفسها الّتي طلبه فيها (حسن باشا) من الجزائر بود وحفاوة ورحب بقدومه[3].

كما كلف بالكتابة إلى باس تونس، فقد جاء في مذكرة أحمد الزهار أنّ الباشا قد أمر "الفقيه العنابي، قاضي الحنفية أن يكتب كتابا إلى حمودة باشا (باي تونس) فكتب الكتاب وبعثوا به"، ووعد الزهار أن يذكر نص الكتاب في مبيضته، ولكنه لم يفعل لأنّه لم يبيض عمله، ولو ذكره لعرفنا محتوى الكتاب وأسلوب كاتبه، ومهما يكون الأمر فإنّ هذا الخبر يشير إلى منزلة العنابي لدى الداي[4].

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب الّذي بعثه إلى السلطان المولى سليمان قد أرسله مع محمد ابن العنابي قاضي الحنفية بالجزائر قد ذهب به شخصيا إلى المغرب وسلمه شخصيا، وهذا ما يدل على قيمته العلمية [5].

---

[1]– محمد بوشناقي، المرجع السابق، ص228.

[2]– صبرينة شبيرة، المرجع السابق، ص14.

[3]– عمر بن قينة، صوت الجزائر، المرجع السابق، ص14.

[4]– سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص93.

[5]– لطيفة أدجرغور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص24.

3-4 السفارة:

كانت للعنابي مراسلات كثيرة لكثرة مراسليه بالذين يطلبون منه الرأي والفتوى والإجازة أو غيرهما من المراسلات، كما اتسمت شخصيته بالروح الدينية والفكر الاقتصادي والسياسي، فكان له دوره الديني والسياسي، ولقد لعب دوره الأول وهو يباشر وظيفة الإفتاء ويتصدر لتدريس ويمنح الإجازات لتلاميذه والمعجبين بعلمه[1].

قام بعدة سفارات نحو المغرب وإسطنبول[2]، كلفه الداي سفارة المغرب الأقصى والّتي نجح فيها نجاحا باهرا أكسبته بمكانة كبيرة في العصر الدايلكي، كما أنّه أرسله في مهمة أخرى إلى عاصمة الخلافة بعد المواجهة بين الأسطول الجزائري والأسطول الإنجليزي سنة 1816م[3]، كلفه بنفس المهمة إلى إسطنبول لمقابلة السلطان العثماني محمود الثاني.

كلف ابن العنابي بمهام دبلوماسية، "ابن العنابي لم يكن مجرد عالم بالفقه وما إليه من العلوم، بل كان أيضا دبلوماسيا ناجحا وخبيرا بشؤون الدول"[4].

كلفه الداي عمر باشا (1818-1817م) بمهمة إلى المغرب الأقصى لمقابلة السلطان سليمان الّذي استقبله شخصيا وكان سبب هذه السفارة، طلب مساعدة عسكرية بعد الهجوم الّذي تعرضت له مدينة الجزائر بقيادة اللورد إكسموث (ينظر الملحق رقم 04)، وقد كللت بالنجاح[5].

---

(1)- علي اجقو، المرجع السابق، ص13.

(2)- سعيد فرج، المرجع السابق، ص23.

(3)- علي أجقو، المرجع السابق، ص13.

(4)- عمر بن قينة، الرؤية الفكرية في العالم، المرجع السابق، ص28.

(5)- محمد بوشناقي، المرجع السابق، ص288.

ولاه حسين باشا إلى جانب الأغا إبراهيم في قيادة الجيش الجزائري المقاوم للاحتلال الفرنسي، وذلك لثقة حسين في ابن العنابي، وكان تعيينه لرفع معنويات الجيش بالدعوة للجهاد وليس لكفاءته العسكرية[1].

كما نجده قلد منصب وزير بدليل انه كان ضمن قائمة وزراء وأعيان الباشا متقلد منصب نقيب أشراف مكة والمدينة واضعا أمام ذلك ختمه الّذي يحمل تاريخه (1232هـ)[2]

نستنتج ممّا سبق أنّ ابن العنابي كان على اطلاع يعيشه العالم الإسلامي والعالم الغربي من صراع حول نفوذ فجاءت مؤلفاته متنوعة في العلوم الشرعية، وقضايا العصر.

ومما يتضح لنا أنّ ابن العنابي شخصية مرموقة بين قومه وفي عصره ويمكن تقسيم دوره بالى ديني وسياسي، فالدور الديني لعبه، هو يباشر وظيفة الإفتاء وتصدره لتدريس ومنح إجازات لتلاميذه، أمّا السياسي فيتمثل في صلته بدايات الجزائر والمهام الّتي وكلت إليه ويضاف إلى ذلك دوره بالفكري الّذي يظهر في كتابه "السعي المحمود" من أراد الحضارة الغربية وضرورة أخذ المسلمين منها.

---

(1)- عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، المرجع السابق، ص20.

(2)- عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب العربي تونس- الجزائر- ليبيا 1816-1817م، تق: روبير منتران، الدار التونسية للنشر التوزيع، ط1، د ب، 1972، ص256.

الفصل الثاني

ابـن العنابـي ودوره
فـي مقاومة الاحتلال الفرنسي

1- موقفه من الاحتلال الفرنسي

2- رد فعله ومقاومته للاحتلال الفرنسي

3- مصيرووفاة ابن العنابي

يعتبر الفقيه ابن العنابي من بين أهم العلماء الّذين تزامن وجودهم مع بدايات الاحتلال الفرنسي، وكان له فضل كبير ومساهمة في التصدي للوجود استعماري بالجزائر من خلال رجاحة عقله ومدى خبرته في المجال السياسي والعسكري، فمن الطبيعي أن يكون له موقف وردة فعل، فقد كان من الرافضين للوجود الأجنبي بالأراضي الجزائرية.

1- موقفه من الاحتلال الفرنسي:

كانت الجزائر منذ القدم أحد أهم أطماع الدول الأجنبية وذلك لمزاياها العديدة وباعتبارها سيدة البحر من خلال موقعها المهم والاستراتيجي، وكانت فرنسا من بين هؤلاء الدول الطامعة وبالتالي عملت على إقامة علاقات مع الجزائر وتطورت هذه العلاقات بين البلدين وتحولت فيما بعد إلى حصار ثم إلى حملة انتهت باحتلال الجزائر[1]، ويعتبر نابليون من الأوائل الّذين حلموا بالاستيلاء على البحر الأبيض المتوسط، فقد كان يريد جعله بحيرة فرنسية، لكنه كان منشغلا بالحرب في إسبانيا وبحملة روسيا إضافة إلى ضعف الأسطول الفرنسي، وكلّ هذه الأسباب جعلت مشروع غزو الجزائر مؤجلا مؤقتا[2].

ولما توافرت القدرة والأسباب والذرائع انطلقت الحملة الفرنسية في يوم 25 ماي 1830م من ميناء طولون اتجاه الشواطئ الجزائرية الّتي وصلتها يوم 13 جوان 1830م، سارعت في عملية الإنزال في اليوم الموالي، وقد واجهتها جيوش الداي بقيادة صهره

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص21.

إبراهيم باشا[*1]، وكان غير كفء لعدم امتلاكه للخبرة العسكرية، فشلة جيوشه وفر إلى التيطري ممّا أثر سلبا على نفسية الجيوش[2].

فبعد هزيمة الجيش الجزائري حمل حمدان خوجة الداي حسين مسؤولية تعيينه للآغا إبراهيم قائدا للجيش ليحارب فرنسا فقد كان يفتقر للتنظيم والذخيرة وحتى المؤونة[3]، وكما يذكر المؤرخ حنيفي هلايلي في كتابه "العلاقات الجزائرية الأوروبية: "هرب إبراهيم آغا من الميدان وترك خلفه الجيش والخيام والفرقة الموسيقية والأعلام"[4].

أمام هذا الوضع قام الداي حسين بالاستعانة بالمفتي الحنفي ابن العنابي فعينه قائدا للجيش، لأنه كان يحظى بمكانة علمية، كما كان تعيينه بهدف رفع الروح المعنوية خاصة بعد الوضع الّذي كان يعيشه الجنود وكذلك لرفع روح الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين[5]. كما لم يكن استدعاء الداي لابن العنابي لكفاءته العسكرية فهو رجل دين وفكر لا رجل حرب وخطط عسكرية[6].

لقد اتخذت المقاومة منذ بدايتها اتجاهات وأساليب مختلفة فكان منها مقاومة التجار والعلماء وزعماء المدن، إضافة إلى وجود المقاومة الدينية الّتي قادها المرابطون وبعض شيوخ القبائل[7]، صنفتهم فرنسا ضمن حضر الجزائر وهم طبقة غنية منحدرة من أهل البلاد ومن مهاجري الأندلس، ويحتلون المرتبة الثالثة سياسيا بعد الأتراك والكراغلة[8].

(*)– إبراهيم باشا: صهر الداي حسين، تم تعيينه على الجيش الجزائري بعد ضرب السفينة الفرنسية لابروفانس في 30 أوت 1829م، أسند له الداي قيادة الجيش أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر؛ ينظر: إلى معجم المقاومة الجزائرية للدكتور كمال بن صحراوي.

(2)– أجقو علي، المرجع السابق، ص19.

(3)– حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815–1830م)، ط1، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 2007، ص91.

(4)– المرجع نفسه، ص91.

(5)– على أجقو، المرجع السابق، ص19.

(6)– المرجع نفسه، ص19.

(7)– لطيفة أدجرفور، مينة عبد بالرؤوف، المرجع السابق، ص50.

(8)– المرجع نفسه، ص50.

عندما بدأ الفرنسيون في شرح الوضع الاجتماعي في الجزائر، صنفوا طبقة الحضر على أنّها منافسة وساخطة على الأتراك، لكن بمجرد استيلاء الفرنسيين على الحكم في مدينة الجزائر سرعان ما أزاحوا الأتراك عن الحكم وأسندوا بعض المناصب لهؤلاء الحضر فتولى بعضهم مراكزا مثل آغا العرب وأصبح بعضهم بايا على التيطري[1].

ولما أولتهم فرنسا هذه المناصب لم تكن الرؤيا واضحة حول أهداف العدو وشكل هذا عقبة في طريق توحيد المقاومة وكانوا يعتقدون أنّ فرنسا لن تستقر بالحكم وستسلمه إلى بعض العناصر من السكان المحليين الّذين ترضى عنهم بعد إبرامها الاتفاق معهم، وكان البعض القليل ممن يدركون خطر التواجد الفرنسي في البلاد[2].

بعد دخول فرنسا إلى الجزائر لجأت إلى مصادرة الأملاك خصوصا تلك الّتي كانت تمول المؤسسات الخيرية وأصبحت ثرواتها وعائداتها الربع منها يوجه نحو الخزينة الفرنسية[3].

رأى السكان ما فعلته فرنسا وما شعرت في تطبيقه وكشفها عن نواياها بطرد وعزل الّذين قبلوا التعاون معها بحجة عدم القيام بالواجب، أو التآمر لاستعادة الحكم الإسلامي[4]، وأمام هذه الوقائع التجأ الحضر إلى عدة طرق للتعبير عن عدم رضاهم. فلم يكونوا مرابطين فيأمروا أتباعهم بالجهاد ضد فرنسا كما فعل محي الدين والد الأمير عبد القادر، ولم يكونوا شيوخ قبائل فيدعوا أنصارهم إلى حمل السلاح، وبالتالي ازداد الوضع سوءا[5]، وإنّما كانوا مجرد طبقة من العلماء ومن أعيان المدينة وهم الآن مجردون من أملاكهم وأموالهم ومناصبهم.

---

(1)– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص65–66.

(2)– جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة بالرويبة، الجزائر، 1994، ص160.

(3)– لطيفة أدجرفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص51.

(4)– أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، المرجع السابق، ص66.

(5)– أبو قاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص67.

أصدر هؤلاء العلماء وثيقة عبروا بها عن رأيهم ومعارضتهم، فلم تكن هناك طريقة غير نشر الإعلانات والمراسلات وتبادل الكتابات للتعبير عن رفضهم، ومن النداءات الّتي صدرت عن جماعة العلماء من بينهم ابن العنابي النداء التالي: "**أما بعد اعلموا رحمكم الله أنّ الجلنار السر عسكر... والله الموفق بتاريخ أواخر جمادى الأول عام 1246ه ستمئة وأربعين ومائتين وألف**"، (ينظر الملحق رقم 05) صدر هذا النداء بعد أسابيع قليلة من الاحتلال الفرنسي[1].

كان هذا النداء موجه للسكان حيث تم الإعلان فيه على أنّ القائد الفرنسي سيتوجه إلى المدية ومتيجة وليست له نية في الحرب وعلى السكان أن لا يحاربوه وإن فعلوا فسيحاربهم دفاعا عن نفسه[2].

كان ابن العنابي من المحذرين من التيار الاستعماري الزاحف، فقد كان يستهدف الاستيلاء على الأمم الإسلامية ونهب خيراتهم وأن السبيل الوحيد لمواجهته هو ضرورة تحديث المؤسسات وإصلاح أوضاع البلاد[3].

كان موقف ابن العنابي من الاستعمار الفرنسي أنّه استنكر المخالفات التي ارتكبت من طرف الفرنسيين وخرقهم لبنود معاهدة الاستسلام، كما كانت له تدخلات معارضة للوجود الفرنسي على أرض الجزائر[4].

استمد ابن العنابي أفكاره الإصلاحية وحكمه من المرجعية الدينية حيث كان يستشهد بنصوص من الكتاب والسنة وسير السلف الصالح بحكم تفقهه في الدين وطبيعة الثقافة الّتي تلقاها في حياته[5].

---

(1)– المرجع السابق، لطيفة أدجرفور، محمد ابن العنابي، ص51.

(2)– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج4، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص359.

(3)– سعيد فرج، صدام حسين قداشي، المرجع السابق، ص54.

(4)– المرجع نفسه، ص54.

(5)– سعيد فرج، صدام قداشي، المرجع نفسه، ص53.

كان ابن العنابي قد غادر الجزائر قبل الاحتلال بسنوات من أجل تأدية فريضة الحج، وعندما حلت الكارثة بالجزائر نادى الباشا حسين على محل ثقته ابن العنابي وطلب منه أن ينادي في الناس بالجهاد وجمع كلمة الجيش المتفرقة، فما كان على ابن العنابي إلا تلبية النداء[1].

لقد كان ابن العنابي موضع شبهة لدى السلطات الفرنسية ضد دخولها، وكانت العلاقة بينهما متوترة، ويرجع سبب هذا التوتر حينما أجبر كلوزيل المفتي على تسليمه بعض المساجد في المدينة لجعلها مستشفيات للجيش متعهدا له باستعمالها لمدة شهرين فقط، ولكنه لم يجد انصياعا منه على خلاف الّذين تعاملوا معهم من العلماء من قبل وهذا ما جعل الفرنسيين يتخوفون منه[2].

ذكر حمدان خوجة أنّ ابن العنابي استفز الجنرال كلوزيل بمراسلاته وانتقده على خيانة فرنسا ونقضها لبنود الاستسلام.

كما كان ابن العنابي من أوائل المعارضين لقرار 7 ديسمبر 1830م[*]، وما أمكنه من التعبير عن تذمره هو المكانة الّتي كان يتمتع بها، فقام بتقديم الشكوى والتعبير عن معارضته للسلطة الحاكمة[3].

ومما نجد أنّ ابن العنابي لم يكن من الراضين بالوجود الفرنسي منذ مرحلة الحصار البحري وحتى توقيع معاهدة الاستسلام، وكانت محاولاته كثيرة في إيقاف السلطان الفرنسية وإلزامها باحترام الاتفاق الموقع بين الداي حسين باشا والكونت دي "بورمون".

---

(1)– أحمد عصماني، "النخبة الجزائرية وموقفها من الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر (1830م)"، **مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية**، العدد 17، دوان 2017، جامعة البليدة 02، ص06.

(2)– لطيفة أدجرفورة، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص52.

(*)– بموجب قرار 7 ديسمبر 1830م أصبحت كلّ الأملاك الدينية الّتي تشمل أوقاف مكة والمدينة والزوايا والمساجد ملكا للسلطة الاستعمارية.

(3)– لطيفة أدجرفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص53.

2- رد فعله ومقاومته للاحتلال الفرنسي:

بعد إصدار الداي حسين على إبقاء الأغا إبراهيم قائدا للجيش وأثناء مواجهته للجيش الفرنسي انهزم في معكرة سطاوالي ويحمل حمدان خوجة الداي حسين مسؤولية ذلك فيذكر: "**بدون جيش منظم وبدون ذخيرة وبدون مؤونة وبدون شعير للخير وبدون المقدرة الضرورية على مواجهة الحرب**"[1].

وفي هذا الوضع الحرج عزل حسين باشا صهره وبعث بدعوة إلى المفتي محمد ابن العنابي وناوله سيفا وأمره بجمع الشعب وإقناع الناس بالجهاد دفاعا عن البلاد، إلا أنّ هذه الفرصة الّتي أعطيت له في قيادة الجيش جاءت متأخرة ووقع الاحتلال بعدها مباشرة[2].

وكما نعلم أنّ ابن العنابي هو رجل دين لا رجل حرب واستدعاء الداي له كان من باب رفع الروح المعنوية والدعوة للجهاد وتحفيز بالجيش وزرع الهمة وحب الدفاع عن الوطن فيه، ولهذا وضعه قائدا على الجيش[3].

قبل ابن العنابي بالمهمة وتقدم الصفوف ونجح مع الداي في تجميع الصفوف ورفدها بالمجاهدين وانتهت هذه بتوقيع معاهدة استسلام (ينظر الملحق رقم 06) بعد تغلب الفرنسيين على الجزائريين[4].

بعد توثيق معاهدة الاستسلام لزم ابن العنابي بيته واتخذ موقف المؤيد للفرنسيين ظاهريا[5]محاولا إلزام قوات الاحتلال بما تقتضيه المعاهدة الّتي أمضاها الداي حسين وقائد قوات الاحتلال الجنرال الفرنسي كلوزيل[6].

---

(1)- حنيفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815م/1830م)، المرجع السابق، ص91.

(2)- لطيفة أدجرفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص54.

(3)- أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي، المرجع السابق، ص50.

(4)- أجقو علي، المرجع السابق، ص19.

(5)- الزبير بن بردي، عثمان زقب، "نفي الاحتلال الفرنسي لمحمد بن محمود العنابي"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، المجلد 8، العدد 4، جامعة الوادي (الجزائر)، 2023، ص79.

(6)- أجقو علي، المرجع السابق، ص19.

وكما ذكرنا أن العلاقة بين ابن العنابي والسلطة الفرنسية تميزت بالتوتر، فابن العنابي كان في واقع الأمر على تواصل بزعماء القبائل وكانوا هم الآخرون على تواصل معه من أجل تنظيم المقاومة والجهاد ضد المحتلين، خاصة أن ابن العنابي عايش الاحتلال وشاهد كيف كانت تقام المذابح والجرائم وتهديم للممتلكات وطرد ونفي[1].

إضافة إلى انتهاك الحرمات، ففرنسا لم تبقي على أمر وفعل سيء لم تفعله في حق المقدسات الدينية لم تسلم منها، ولما بلغ الأمر أنّ المفتي يتوعد ويراسل زعماء القبائل أوقفته السلطات الفرنسية وأصدر قرار سجنه بأمر من كلوزيل[2].

ولما بلغ ذلك ابن العنابي واستشعر قدوم الجنود قام على الفور برمي المراسلات والأوراق في بيت الخلاء، فقاموا بتفتيش المنزل لكنهم لم يجدوا شيئا فغادروا المكان، لكنهم بقوا على شك من أمره ويقرون بخطره عليهم وتحريضه للأهالي[3].

لقد سعت السلطة الفرنسية كثيرا للإيقاع بابن العنابي ولكنها لم تجد دليلا ضده، فلجئوا إلى استدراجه بالكلام وذلك بإرسال من يتجسس عليه من المتعاونين مع المحتل، فقامت باتهامه بالتآمر ضد الدولة وأنه كان يعمل لصالح عودة الحكم العثماني بالجزائر[4].

يقول حمدان خوجة: "**كان المفتي سيدي محمد العنابي رجل عدل وإنصاف مملوءً عفة وفضيلة، وذنبه الوحيد أنه كان يكتب دائما إلى القائد كلوزيل فينتقد أعماله التي تبدو مخالفة لشروط معاهدة التسليم... لكن القائد أبى أن يسمع شيئا وأصر رجال الدرك أن يقبضوا عليه ويضعوه في السجن**"[5].

---

(1)– أجقو علي، المرجع السابق، ص19.

(2)– المرجع نفسه، ص19.

(3)– لطيفة أدجرفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص54.

(4)– عمر بن قينة، صوت الجزائر، المرجع السابق، ص20.

(5)– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تر: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان)، 1972م، ص227.

عندما سمع حمدان خوجة من الجنرال كلوزيل قرر الذهاب لابن العنابي ومعرفة رأيه بحول الاتهامات الموجهة نحوه لكن ابن العنابي نفى نفيا قاطعا، ويذكر حمدان خوجة قائلا: لقد جاءه ترجمان الجيش وأخبره بأنّ الجنرال ينوي إخلاء مدينة الجزائر، قال له: "**إنه يريد أن يسلمك الحكم، مهل في استطاعتك أن تنظم جيشا وقوة كافية لتهدئة البلاد والدفاع عن نفسك**".[1]

أجاب ابن العنابي: "**لما يحين الوقت سأفعل المستحيل من أجل إعادة التنظيم**"، كما أخبر الترجمان بسؤال آخر لأنّ العنابي: "**هل ستحصلون على الجنود من الداخل، أم هل لكم الكفاية في مدينة الجزائر**" فيرد ابن العنابي: "**في المدن وفي كامل أنحاء الإيالة، وعندما يقتضي الأمر فإني أستطيع الحصول على ثلاثين ألف جندي يكونون تحت تصرفي**"[2].

وقيل أنّ المترجم أخفى رجلين ليشهدوا على الحادثة وذلك لاستعمالها كحجة ضد ابن العنابي، وبالتالي استغلها الجنرال كلوزيل وأمر فورا بنفي ابن العنابي وهذا ما صرح به حمدان خوجة فيقول: "**هذه هي الوسائل الّتي استخدمت لإيقاف المفتي**"، ولم يكن حمدان خوجة راضيا عن تصرف الجنرال مع المفتي وعبر بطريقة انتقادية قائلا: "**هذه هي المبادئ الّتي يطبقها السيد الوالي! فعندما يريد هذا المسؤول أن يقوم بعمل تعسفي أو ينفي هذا... فإنّ جميع الوسائل تبدو له صالحة**"[3].

كما عملت السلطة الفرنسية على إضعاف مكانة المفتين وكان محمد ابن العنابي أوّل من نفته بعد الاحتلال مباشرة[4].

طلب خوجة من الجنرال كلوزيل وتوسل إليه بأنّ يمهل المفتي بعض الوقت حتى يبيع أملاكه وينهي التزاماته[5]، "**وبعد كثير من الصعوبات حصلت له تحت كفالتي على**

---

(1)–حمدان خوجة، المصدر السابق، ص288.

(2)–المصدر نفسه، ص288.

(3)– المصدر نفسه، ص228.

(4)– صبرينة شبيرة، المرجع السابق، ص66.

(5)– المرجع نفسه، ص66.

أجل مهلته عشرون يوما سوى خلالها حساباته، وعند انتهاء الأجل رحل إلى الإسكندرية"[1].

إنّ مصير ابن العنابي جعل الناس كلهم يرتابون وخاصة القاضي والمفتي، فلم يعد أي واحد منهم يجرؤ على الكلام[2]، وبالتالي كانت سببا في إسكات السلطات التشريعية، فلم يعودوا إلى الاحتجاج على خرق شروط التسليم خوفا من أن يكون مصيرهم مثل مصير المفتي ابن العنابي[3].

واستمرت فرنسا في سياسة إبعاد العناصر الخطرة الّتي لها نفوذ ومكانة أو الّتي تلعب دورا اجتماعيا وسياسيا بين المواطنين حتى يخلو الجو للسلطات الجديدة[4].

وانتقلت هذه السياسة من كلوزيل إلى روفيغو إلى بوجو فيما بعد، وقد تمتع أن العنابي بهمته العالية وجرأته على معارضة الاحتلال وكلّ هذا لفت أنظار الناس حوله وجعلته قادرا في أعين أعدائه على الأقل، على القيام بثورة ضدهم تجعل وجودهم في الجزائر محل شك، لذلك قرروا ضربه قبل أن يضربهم[5].

يختم أبو القاسم سعد الله بحزن وأسى قائلا: "هكذا اختفى عنصر من عناصر المقاومة في مدينة الجزائر، بالرغم من عدم معرفتنا بمدى التأثير الّذي تركه المفتي العنابي بين العرب[6].

يعد ابن العنابي رمزا للمقاومة في الجزائر من خلال كفاحه وجهاده في هذه المقاومة التي نجحت في زعزعة استقرار الإدارة الفرنسية رغم عيوبها.

---

(1)– حمدان خوجة، المصدر السابق، ص229.

(2)– لطيفة أدجرفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص56.

(3)– المرجع نفسه، ص56.

(4)– أحمد عصماني، النخبة الجزائرية وموقفها من الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر (1830م)، المرجع السابق، ص08.

(5)– أبو القاسم سعد الله، محاضرات، المرجع السابق، ص75.

(6)– المرجع نفسه، ص75.

3- مصير ووفاة ابن العنابي:

رغم الدور السياسي الفعال الّذي يمثله ابن العنابي في رأي الجزائر، والمتمثل في المساعي والجهود وذلك من أجل تخليص الجزائر من براثن الاستعمار، إلا أنّه على حسب العديد من المؤرخين تعرض للنفي من قبل الجنرال كلوزيل، لكن ما تطرق إليه أبو قاسم سعد الله في كتابه عكس ذلك حيث يقول على لسان عبد الحميد بك: "أنّ ابن العنابي قد اختار الهجرة بنفسه خوفا من العاقبة"، لكن حمدان بن عثمان خوجة يؤكد أنّ ابن العنابي تعرض للنفي وأكره بالقوة من طرف كلوزيل، ويؤكد قوله باعترافه بأنّه ساعده في محنته وتوسط له لدى الجنرال حيث يقول: "أن العنابي كان نزيها وفاضلا ذنبه الوحيد أنّه كان يكتب دائما إلى الجنرال كلوزيل يلومه على تصرفاته لذلك قبض عله رجال الدرك وقادوه إلى السجن وقرروا نفسه"[1].

كان ابن العنابي ممن تنبه للأخطار المحدقة بالأمة، فكان من أوائل المنادين لتقوية الجيش المسلم، وإعداده وتنظيمه وتحديثه، وإصلاحه، وألف في ذلك كتابه المشهور "السعي المحمود في تنظيم الجنود"، وكان ذلك في مصر (1242هـ)، وبعد رجوعه إلى الجزائر غزا الفرنسيون البلاد، فقام حسين باشا بتولية ابن العنابي رئاسة العسكر في الوقت الّذي كان فيه ضيفا فقاتل المستعمر، لكن انتصر الأعداء الأقوياء في النهاية، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

أقام ابن العنابي في بيته مظهرا المسالمة مع تعدد إنكاره الحاكم الفرنسي الجنـــرال كلوزيل[2] في الظاهر لكنه في الباطن كان يخاطب العربان والعربان يخاطبونه على إثارة الحرب من جديد، فبلغ الفرنسيين فهجموا على داره، فلما استشعر الهجوم رمى بالأوراق في بيت الخلاء، ففتشوا فلم يجدوا شيئا فتوقفوا عنه لكن أن العنابي خاف من الأمر بحيث

---

(1)- أحمد سرير عفاف، زاوي زينب، المرجع السابق، ص49.

(2)- محمد زياد التكلة، المرجع السابق، ص09

يوشي به أحد مبغضيه إلى الفرنسيين أو يختلق رسالة يمسكونه بها، فتوجه إلى الإسكندرية[1].

لما عاد ابن العنابي للإسكندرية كان المفتي الشيخ خليل السعران قد توفي، فقام محمد علي باشا بتعيين ابن العنابي مفتيا للحنفية فيها، وهناك أخذ العلماء عنه من أهل الإسكندرية ومن خارجها، مثل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، وكذا محمد القاوقجي.

بقي ابن العنابي في الإفتاء حتى سنة 1266هـ حين عزله عباس باشا يسعى بعض المشايخ بالسوء، ولذلك لقصة خلاصتها: أنّ المشكلات كثرت من أرباب الدعاوى بسبب المفتين-على اختلاف المذاهب-وارتشائهم فتضايق محمد علي باشا أواخر أيامه وأمر المترجم أن يؤلف كتابا يجمع فيه ما رجح من أقوال الأئمة الأربعة ويعتمد في القضاء وألف كتابه "صيانة الرياسة في القضاء والسياسة"[2].

ولما ولي عباس باشا سنة 1265هـ سعت المشايخ والمفتيون في إبطال هذا الكتاب وعزله في تلك السنة وهي سنة 1266هـ وولي الفتوى الشيخ محمد البنا مكانه[3].

حينما يلقى العالم المصلح الحظوة الّتي حظيها ابن العنابي، كثيرا ما يتعرض من العالم المصلح للابتلاءات والمكايد، ولاسيما إن عظمت رتبته في العلم، وكان قويا في مواقفه وإنكاره على المتسترين والمتاجرين بالدين لمصالحهم الخاصة[4].

أقام ابن العنابي في بيته مبتعدا عن التدخل في الأمور المذكورة إلى أن وفاه الأجل[5].

---

(1)- سعد الله، رائد التجديد، ص10.

(2)- محمد زياد بن عمر التكلة، المرجع السابق، ص10.

(3)- سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص11.

(4)- علي أجقو، المرجع السابق، ص14.

(5)- سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص11.

وهكذا اختفى عنصر من عناصر المقاومة في مدينة الجزائر، ورغم أننا لا ندري مدى التأثير الّذي نسب إلى المفتي ابن العنابي بين العرب، فإنّ الظاهر أنّه كان مبالغا فيه، ولكن مجرد العنابي في سلطة الإفتاء وشخصيته القوية وهمته العالية وجرأته على معارضة الاحتلال، كلّ ذلك لفت إليه الأنظار وجعلته قادرا، في أعين أعدائه على الأقل، على القيام بثورة ضدهم تجعل وجودهم في الجزائر محل شك، لذلك قرروا ضربه قبل أن يضربهم، وهي سياسة تقوم على إبعاد العناصر "الخطرة" ذات النفوذ

يمكن أن تعلب دورا اجتماعيا وسياسيا بين المواطنين حتى يخلو الجو للسلطات الجديدة[1].

توفي– رحمة الله عليه– في ربيع الآخر سنة 1267هـ، عن ثمان وسبعين سنة، وأرخ وفاته الشاعر محمد عاقل بقوله: "اليوم رمس مفتي الإسكندرية"[2].

ذكر أنّ أسرة المفتي ماتزال حتى اليوم بالإسكندرية وتعرف بأسرة المفتي الجزائري، فابن العنابي يقدر ما كان له دور كبير في الجانب السياسي والعسكري، كان له دور كبير في الجانب الفكري سواء في مجال التدريس أو الإفتاء والاجتهاد.

هذه بعض ملامح الأوضاع السياسية والإدارية التي عرفتها إيالة الجزائر أثناء عصر ابن العنابي مما حتم ضرورة ظهور طبقة مثقفة تسعى لتدارك الوضع وتصحح ما يمكن تصحيحه.

نرى مما سبق أن العنابي يبقى نموذجا للمقاومة في الجزائر رغم ضعف وعيوب هذه المقاومة إلا أنها أصبحت مصدر قلق للإدارة الفرنسية فعملت على إبعاده ونفيه.

---

[1]–سعد الله، رائد التجديد، المرجع السابق، ص75.

[2]– أحمد سرير عفاف، زاوي زينب، المرجع السابق، ص52.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع فقهاء المذهب الحنفي في الجزائر العثمانية توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات، وهي كالآتي:

- ✓ بالحضور العثماني في الجزائر ادخلوا معهم مذهبهم الحنفي واتخذوه المذهب الرسمي للدولة الجزائرية الحديثة.
- ✓ أبقى العثمانيون على المذهب المالكي بالجزائر باعتباره المذهب السائد في بلاد المغرب عموما، كما حافظوا على بقاء المذهب الاباضي وان كان في أجزاء محدودة من البلاد.
- ✓ حظيت فئة العلماء بمكانة كبيرة لدى الحكام وكانت علاقتهم بالسلطة في غالب الأمر جيدة وبخاصة أتباع المذهب الحنفي.
- ✓ وظفت السلطة العلماء للحفاظ على الأمن والاستقرار داخل البلاد، وكانت بينهما مراسلات متنوعة تضمنت في مجملها مجاملات وامتيازات.
- ✓ عرف عن شخصية ابن العنابي انه كان قاضيا حنفيا وفقهيا وهذا ما ظهر في فكره.
- ✓ استمد ابن العنابي أفكاره الإصلاحية من المرجعية الدينية من أصول المذهب الحنفي.
- ✓ طبيعة نظام الحكم أسهمت في ضعف الحكام وجشعهم مما أدى الى تردي الأوضاع السياسية والتي أفرزت بدورها ثورات في مختلف مناطق البلاد.
- ✓ عرفت الأوضاع الاجتماعية تدهورا كبيرا بفعل السياسة الضريبة وزادت عليها حالة انتشار الأمراض والأوبئة خاصة مع نهاية الحكم العثماني.
- ✓ عرف عن ابن العنابي أنه صاحب رؤية إسلامية صحيحة وكان داعيا للجهاد في سبيل الله عاملا بما جاء في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- ✓ اتخذ ابن العنابي موقف معارضا منذ البداية للسلطة الاستعمارية الفرنسية خاصة بعد عدم التزامها واحترامها لبنود معاهدة الاستسلام.

- ✓ مساعي ابن العنابي الكثيرة للتخلص من الوجود الفرنسي وتجلى ذلك في مقاومته ورد فعله.
- ✓ مواقف ابن العنابي شكلت خطرا على الوجود الفرنسي، فقد كنت رسائله للجنرال كلوزيل تخيفهم ويخشونه واعتبار أفكاره لا تخدم المصالح الفرنسية، لذلك جعلوا يناصبوه العداء ويحيكون له المكائد، وكل ذلك كان سببا كافيا في طرده ونفيه من الجزائر.

الملاحق

الملحق رقم 01:الإباضية في الجزائر العثمانية

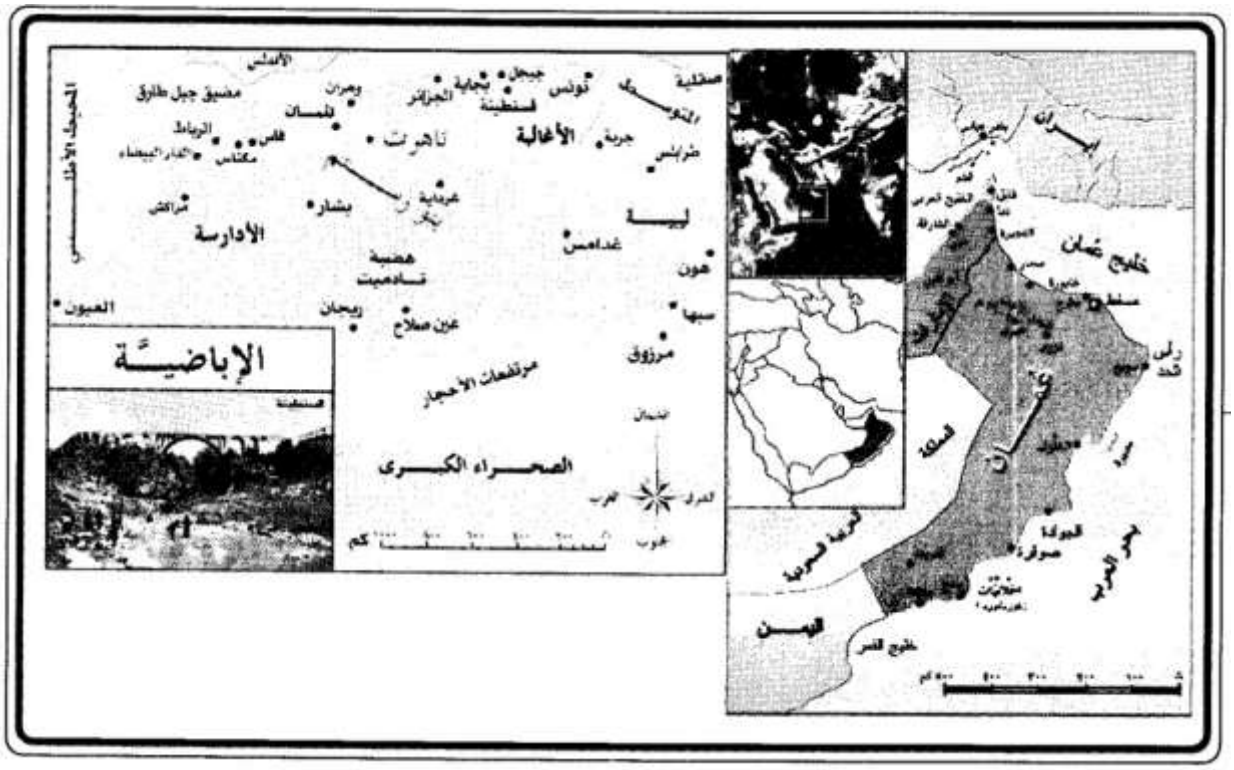

المصدر: شوقي أبو خليل، أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية (أماكن نشوئها وانتشارها ونبذة عن فكرها وتاريخها)، ط1، دار الفكر، دمشق، 2009، ص10.

الملحق رقم 02:أهم مؤلفات ابن العنابي وأثاره

1- السعي المحمود في نظام الجنود؛
2- صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة؛
3- بلوغ المقصود في اختصار السعي المحمود، وهو تلخيص للكتاب الأول،قام به أحد تلاميذ ابن العنابي وهو إبراهيم السقا بطلب من محمد علي ولي مصر؛
4- شرح كتاب الضر المختار في الفقه الحنفي؛
5- تحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المجازية؛
6- العقد الفريد في التجويد؛
7- لمعان البيان في بيان أخذ الأجرة على القرآن؛
8- شرح متن البركوي في التوحيد؛
9- ثمانية عشر رسالة في وقف العقار؛
10- مجموعة فتاوى في مسائل مختلفة؛
11- مجموعة أشعار وتقاريظ ونصوص أدبية؛
12- ثبت الجزائري؛
13- مجموعة إجازات؛
14- خاتمة في التوحيد؛
15- المقتطف من الحديث، اقتطافه من الصحيح ابن حبان؛
16- كتاب اخر في الحديث سماح الملتقى؛
17- رسالة له خاصة بالمرأة؛
18- رسالة في أداء زكاة الفطر.

المصدر: أبو القاسم سعد الله، الجديد عن ابن العنابي، ص ص52-54.

الملحق رقم 03:جامع الأزهر

المصدر: حسين مؤنس، المساجد، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص322

الملحق رقم 04:صورة اللورد اكسماوث

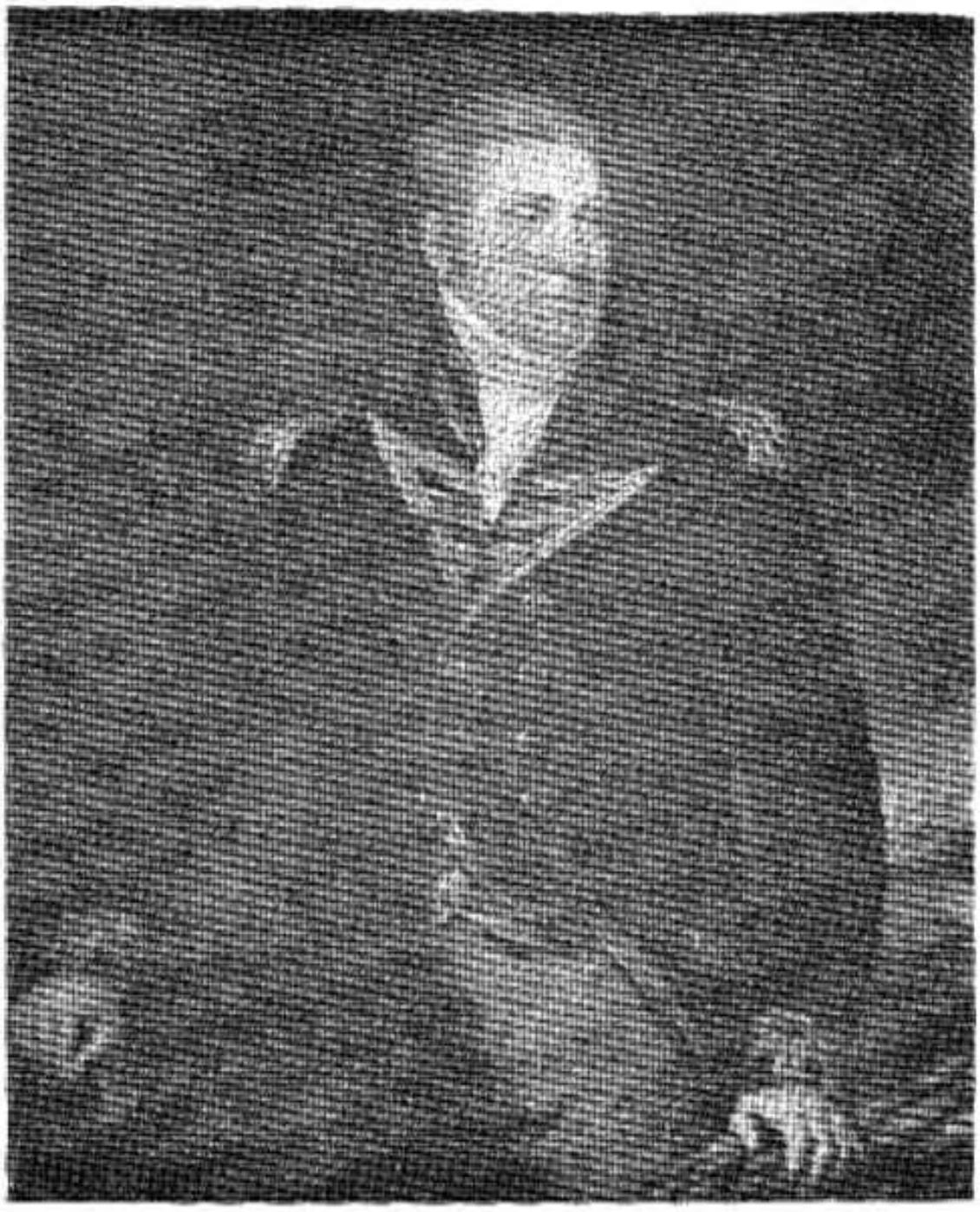

المصدر: عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص241.

الملحق رقم 05:النداء الأول لعلماء الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي

الحمـد لله

وحـــده

يـاهـــل الجـــزائر

كيف يحل لكم هذا الأمر الذي تفعلون فيه محال عليكم . كان صار عسكرا أعطكم الأمان والحرية . ويحب لكم الخير والعافية وأنتم هاربين منه وتضيع دياركم وأموالكم وبلادكم وتأخذ كـلام الشياطين الذين يريدون الشر لي ولكم وثانيا نحلف لكم باليمين مادمتم تحت حكمي الا وأنتم فى خير وأمان وجميع الاحسان ونعلمكم أيضا بأن كل من يخرج من البلاد ويخلف داره أو بستانه أو حنوته الا وهي تضيع له ونملكها للعساكر والسلام .

عن اذن صادر عسكر حاكم مدينة الجزائر واحولها 27 ربيع الاول عـــام 1246 .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الى اخواننا المسلمين فى البلدان والقرى من عرب وأتراك وقبايل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد اعلموا رحمكم الله أن الجلنار السر عسكر الذي ملكه الله بلادنا بحكمه النافذ وتقديره السابق قد علمنا منه وتحققنا أن خروجه الى ناحيتكم لم يكن بقصد حرب ولا قتال وانما هو بقصد الاستيلاف والتفرج واعانة الضعفاء وأنه يسالم من يسالمه ويحسن الى جميع من لقيه بغير سلاح ويعطي ثمن كل ما يشتريه ممن يأتيه به بثمن يرضيه ؛ وأعطانا عهدا لله وميثاقه على ذلك بايمان مغلظة بحيث لم يبق لنا شك فى ذالك قال الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . ونصيحتنا لجميعكم هي أن تجنحوا الى ما أمر الله وصونوا دماء المسلمين ، ونحن نضمن لكم أن لا يعتريكم منه فى خروجه هذا ما يضركم لا فرق فى ذلك بينكم وبين من بالمدية فانه ءامن على نفسه

وبلاده وعساكره ما لم يتعرض لمكروه ، فأما من شهر السلاح وأراد الحرب منكم فوباله على نفسه ؛ والسر عسكر مجبور على مدافعته ومقابلته بالحرب ؛ والصلح خير وكل حد مقرر على دينه وأملاكه وما تحت حوزه وهذا ختمه وطابعه مقرر لما اعلمناكم به ، وهذا ماوجب اعلامكم به ، والله الموفق بتاريخ أواخر جمادي الأول عام 1246 ستة وأربعين ومائتين وألف .

الفقير الى الله علي بن محمد المانجلاتي ، مفتي المالكية بالجزائر امنه الله .

الفقير الى الله قاضي الحنفية بالجزائر امنه الله . لقد ساعد على ما رقم وحصل الفقير الى الله سبحانه لابطل عبده مصطفى بن محمد قاضي المالكية لطف الله به . وكذلك الفقير اليه محمد بن محمود مفتي الحنفية بالجزائر لطف الله به (1) .

1 ـ المصدر : مصدر النصوص الاربعة الاخيرة هو : المكتبة الوطنية بباريز رقم 1319 Rés. LK⁹

المصدر: عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1900/1830)، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص ص57-58.

الملحق رقم 06:معاهدة استسلام

وزارة الشؤون الخارجية
مديرية الوثائق

نسـخـة

معاهدة بين القائد العام للجيش الفرنسي ، وصاحب السمو داي الجزائر

يسلم حصن القصبة ، وكل الحصون التابعة للجزائر . وميناء هذه المدينة الى الجيش الفرنسي صباح اليوم على الساعة العاشرة (بالتوقيت الفرنسي)

يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي تجاه صاحب السمو ، داي الجزائر، بترك الحرية له ، وحيازة كل ثرواته الشخصية

سيكون داي الجزائر حرا فى أن ينصرف هو وأسرته وثرواته الخاصة الى المكان الذي يعينه . ومهما بقي فى الجزائر سيكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام الفرنسي . وسيتولى حرس ضمان أمنه الشخصي وأمن أسرته

يضمن القائد العام لجميع جند الانكشارية نفس الامتيازات ونفس الحماية

ستبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة ، ولن يلحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ، ولا بدينهم ، ولا بأملاكهم ، ولا تجارتهم وصناعتهم . وستكون نساؤهم محل احترام

68

والقائد العام يلتزم على ذلك بشرفه

وسيتم تبادل هذه المعاهدة قبل الساعة العاشرة ، وستدخل الجيوش الفرنسية عقب ذلك حالا الى القصبة ؛ ثم تدخل بالتتابع كل حصون المدينة والبحرية (1) .

بمعسكر قرب الجزائر يوم 5 جويلية 1830
توقيع : الكونت دي بورمون
هنا وضع الداى ختمه
صورة مطابقة للاصل
ليوتنان جنرال ــ قائد هيئة الاركان العامة
توقيع دسبريز
صورة مطابقة للاصل
محافظ الارشيف بالوزارة الخارجية
ادوار كارتيرون

المصدر: لطيفة أدجرفور، مينة عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص68.

قائمة

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

أ- المصادر:

1. **خوجة حمدان بن عثمان**، المرآة، تر: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان)، 1972م.

2. **الزهار أحمد شريف**، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1168-1246هـ/ 1754-1830م)، تقديم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 1974م.

3. **الفكون عبد الكريم**، منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو قاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان.

4. **يلماز أورتونا**، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، تر: عدنان، محمود سليمان، منشورات، فيصل للتمويل، ط1، تركيا، 1408هـ- 1988م.

ب- المراجع:

5. **أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.

6. **أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20ه)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ج1.

7. **أبو القاسم سعد الله**، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العناب المتوفى في 1850م صاحب كتاب السعي المحمود في تنظيم الجنود، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990.

8. **أبو القاسم سعد الله**، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.

9. **أبو زمرة محمد**، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ت.

10. **أبو قاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

11. **بن عمر التكلة محمد زياد**، إجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري (1189ه-1267ه)، دار النشر الإسلامية، ط1، لبنان، 2008.

12. **بن قينة عمر**، الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى (ابن المقنع وابن العنابي والكواكبي)، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2000.

13. **بن قينة عمر**، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام وقضايا ومواقف)، كولوريوم، د ط، الجزائر، 2012.

14. **التميمي عبد الجليل**، بحوث ووثائق في تاريخ المغرب العربي تونس- الجزائر- ليبيا 1816-1817م، تق: روبير منتران، الدار التونسية للنشر التوزيع، ط1، د ب، 1972.

15. **تيمور باشا أحمد**، المذاهب الفقهية الأربعة، الحنفي والمالكي، الشافعي والحنبلي وانتشارها عند جمهور العرب، دار الأوقاف العربيّة، مصر، ط1، 2001.

16. **رستم سعد**، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ بدايات النشأة، والعقيدة، التوزيع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط3، 2005.

17. **السايس علي محمد**، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

18. **سعد الله أبو القاسم**، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007.

19. **السيابي أحمد بن مسعود**، المدخل إلى المذهب الإباضي، ط1، مكتبة الظاهري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان، 2019.

20. **السيوطي أحمد**، مسند الإمام أبي حنيفة- الإمام أبو حنيفة النعمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان.

21. **العربي هشام يسرى**، جغرافية المذاهب الفقهية، دراسة تحليلية لتاريخ المذاهب الفقهية الثمانية وأماكن انتشارها، دار البصائر، القاهرة، ط1، 2005.

22. **القزويني أحمد بن فارس بن زكريا**، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج2، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1979.

23. **قنان جمال**، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة بالرويبة، الجزائر، 1994.

24. **معمر علي يحي**، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، ط2، مكتبة وهبة، 1987.

25. **النقيب أحمد بن محمد نصير الدين**، المذهب الحنفي (مراحله- طبقاته- ضوابطه- مصطلحاته- خصائصه- مؤلفاته)، ج1، مكتبة الرشاد، الرياض، السعودية، د ت.

26. **هلايلي حنيفي**، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815-1830م)، ط1، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 2007.

27. **وحدة البحث بإدارة الإفتاء**، المذاهب الفقهية الأربعة، أئمتها، أطوارها، أصولها، آثارها، راغب أحمد الحجي الكردي وآخرون، ط1، 2015.

28. **وهبي سليمان عارجي**، أبو حنيفة النعمان، إمام الأئمة الفقهاء، دار القلم، دمشق، ط6، 1996.

ج- الرسائل الجامعية:

29. **أوجرتني محمد**، الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1520-1830م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، كلية الآداب، 2014-2015.

30. **روابح شهرة**، الصراع المذهبي بين المالكية والحنفية في عهد الأغالبة (148-296ه)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط بجامعة 08 ماي 1945، شعبة التاريخ، 2017-2018.

31. **زايدي حمزة شحطوط وبلال**، المذهب الحنفي في بلاد المغرب الإسلامي [5-2ه-[8-11م]، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة البويرة، الجزائر، 2014-2015.

32. **سرير أحمد عفاف**، زاوي زينب، ابن العنابي ودوره الإصلاحي الفكري والسياسي (1189ه1267ه/ 1775-1851م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، المدية، (1437-1438ه/2016-2017م).

33. **شبيرة صبرينة**، حضر مدينة الجزائر وموقفهم من الاحتلال الفرنسي (1830-1848م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، اش ميسوم بلقاسم، قسم العلوم الإنسانية، 2013-2014م.

34. **شمس الدين محمد عبد اللطيف**، أبو حنيفة النعمان وآراؤه وفقهه الكلامي، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية، جامعة الإسكندرية، قسم الفلسفة، 1999.

35. **عبد الرؤوف مينة، أدجرفور لطيفة**، محمد العنابي ودوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي (1775-1816م)، مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في التاريخ، تخصص المغرب العربي المعاصر، جامعة أحمد دراية- أدرار، الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، 1442-1443ه/ 2021-2022م.

36. **فرج سعيد، قداشي صدام حسين**، المشروع النهضوي في فكر ابن العنابي الجزائري وخير الدين التونسي من خلال كتاب السعي المحمود في نظام الجنود وأقوام المسالك في معرفة الممالك، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة يحي فارس، المدية، 2015-2016.

37. **لعمارة مريم**، العلماء وعلاقتهم بالسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2021-2022.

د- المقالات والمجلات:

38. **أجقو علي**، المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي وإسهاماته في مجال الثقافة، السياسة، الإصلاح والمقاومة، مجلة تجسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات، المجلد 01، العدد 01، جامعة باتنة، الجزائر، 2016.

39. **بوشناقي محمد**، علماء المذهب الحنفي في الجزائر خلال العهد العثماني (1310ه 1916م)، عصور جديدة، ع16-17، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، ربيع الأول، أبريل 1436ه/2014 -2015م.

40. **بوشيش صالح**، المدارس الفقهية في الجزائر خلال الحكم العثماني، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية بجامعة باتنة، الملتقى الوطني الأول، المذهب المالكي في الجزائر، 2-3 ربيع الأول الموافق لـ 21-22 أفريل 2004.

41. **عصماني أحمد**، النخبة الجزائرية وموقفها من الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر (1830م)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 17، دوان 2017، جامعة البليدة 02.

42. **مخفي مختار**، دور علماء الجزائر اجتماعيا وسياسيا خلال العهد العثماني (1518-1830م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، مجلد 8، ع4، جانفي 2017.

43. **موسم عبد الحفيظ**، واقع القضاء بين المالكية والأحناف في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة المحترف للعلوم الرياضية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9، العدد 01، 2022.

هـ- المعاجم والقواميس:

44. **الذهبي شمس الين محمد بن أحمد بن عثمان**، سير أعلام النبلاء، ج4، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م.

45. **الزركلي خير الدين**، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين، ج2، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.

46. **نويهض عادل**، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت، لبنان، ط2.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة..... **أ-د**

الفصل التمهيدي

المذاهب الإسلامية في المغرب الأوسط(الجزائر)

أولا- ماهية المذهب..... **05**

ثانيا- المذهب المالكي..... **06**

ثالثا- المذهب الإباضي..... **09**

رابعا- المذهب الحنفي..... **11**

الفصل الأول

المفتي الحنفي ابن العنابي

1- المولد والنشأة..... **21**

2- ثقافة ابن العنابي وأفكاره الإصلاحية **24**

2-1 تعليمه **24**

2-2 أفكاره الإصلاحية..... **28**

3- وظائفه ومهامه **33**

3-1 القضاء **34**

3-2 الإفتاء **34**

3-3 التأليف **35**

3-4 السفارة..... **37**

الفصل الثاني

ابن العنابي ودوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي

1- موقفه من الاحتلال الفرنسي 40

2- رد فعله ومقاومته للاحتلال الفرنسي 45

3- مصير ووفاة ابن العنابي 49

الخاتمة 53

الملاحق 56

قائمة المصادر والمراجع 64

فهرس المحتويات

ملخص

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

علماء المذهب الحنفي ابن الحنابي أنموذجا

إعداد الطلبة:

1- حيارة إحسان رقم التسجيل: 1917 350 894 44

2- العمراوي حورية رقم التسجيل: 1919 3507 6315

القسم: تاريخ **الشعبة:** / التخصص تاريخ حديث

إشراف: عاشور فوزية **الرتبة:** أستاذ محاضر

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2023-2024 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

بالموافقة

رئيس فريق الاختصاص

د/ معمر نور الهدى

رئيس القسم

د/ بوقرة لطيفة عبد المالك

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2024

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): عيساوة إيمان

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 199710290065500000

الصادرة بتاريخ : 2018-04-19 عن دائرة : بئ سدور

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ حديث تحت رقم التسجيل:

والمكلف بإنجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج ليسانس، مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه)

عنوانها: علماء المذهب الحنفي ابن العنابي أنموذجا

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 30 ماي 2024

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2024
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): عمراوي حورية

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 119990996006470008

الصادرة بتاريخ : 2023/3/29 عن دائرة : حمام الضلعة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ حديث تحت رقم التسجيل: 191937076315

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج, مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه)

عنوانها:

علماء المذهب الحنفي ابن الحنابي أنموذجا

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في:

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

ملخص:

يعد علماء المذهب الحنفي البارزون ركائز أساسية في تطور وازدهار هذا المذهب العريق ومن بين هؤلاء العلامة المفتي محمد بن محمود ابن العنابي.

وعليه، فان هذه الدراسة تهدف إلى تسليط الضوء على أحد رجال الفكر والإصلاح في الجزائر والعالم الإسلامي فهو من فقهاء وعلماء المذهب الحنفي. وظهرت أفكاره جليا في الجانب السياسي والعسكري خاصة، كما كان لابن العنابي دوره في مقاومة الاحتلال الفرنسي من خلال الدفاع عن ممتلكات الشعب الجزائري الّتي تضمتها معاهدة الاستسلام

الكلمات المفتاحية: ابن العنابي؛ المذهب الحنفي؛ المقاومة؛ الاحتلال.

Abstract

He prominentscholars of the hanafischool of thought are considered essential pillars in the development and flourishing of thisancientschool of thought. Amongtheseschol arsis the mufti ibn al-anabi. Therefore, thisstudyaims to shed light on one of the intellectual and reformist figures in algeria and the islamic world, as heis a scholar of the hanafischool of thought. Hisideaswereclearlymanifested in the political and military aspects, especially in hisrole in resisting the french occupation by defending the properties of the algerian people included in the surrendertreaty.

Keywords: Ibn al-Annabi; Hanafi school of thought; Resistance; Addiction.